

مطبوعات أفريقية آسيوية
(٢٢)

الاستعمار الصهيوني في فلسطين

بقلم
الدكتور فايز صايغ

مركز البحوث
بمنظمة التحرير الفلسطينية

. محمود دياب
ج بالمستشفى الملكي المصري

مطبوعات أفريقية آسيوية

(٢٢)



الاستعمار الصهيوني في فلسطين

بقلم

الدكتور فايز صايغ

قامت بالنشر السكرتارية الدائمة
لمنظمة تضامن الشعوب الأفريقية الآسيوية
٨٩ عبد العزيز آل سعود ـ منيل الروضة
القاهرة ـ ج. ع. م

فهـــرس

مقدمة

لقد شاهدت العشريتان الأخيرتان انهيار الاستعمار الأوربى والقضاء التدريجى على الاستعمار الاستيطانى الغربى فى قارتى آسيا وافريقيا · وقد شاهدنا كذلك قيام نوع جديد من الاستعمار الاستيطانى فى منطقة التقاء هاتين القارتين · وهكذا نرى أن اختفاء هذه الحقبة من التاريخ التى تتسم بالوحشية والعار قد اتفقت زمنيا مع ظهور مولود مشوه جديد للامبريالية الأوربية ولنوع جديد من أنواع الاستعمار الاستيطانى العنصرى ·

ويعتبر مصير فلسطين هكذا نوعا من « الشذوذ » اذ أنه تحول جذرى لمجرى تاريخ العالم المعاصر · ففى الوقت الذى تحقق فيه لعدد كبير من الأمم والشعوب التمتع بحقها فى تقرير مصيرها كان الشعب العربى فى فلسطين يعانى من عدم قدرته على الحيلولة دون اتمام عملية الاستعمار المنهجية التى فرضت عليه منذ عشريات عديدة سابقة · وقد تميز هذا التطور بنزع ملكية أراضى الشعب الأصلى نزعا جبريا ثم بطرده من بلده الأصلى ثم بفرض سيادة أجنبية على أرضه ثم بالعمل السريع على تهجير مجموعات أجنبية لاحتلال الأرض التى طرد منها أهلها الشرعيون ·

ولم يفقد شعب فلسطين « الاشراف السياسى » فقط على بلاده بل أنه فقد أيضا « الوجود الطبيعى » له على أرضه وفى بلاده : فهو لم يحرم فقط من حقه الثابت فى « تقرير المصير » بل حرم أيضا من أعظم حق شرعى له ألا وهـــو حق العيش والوجود على أرضه الخاصة ٠

وتعتبر هذه المأساة المزدوجة التى فرضت على الشعب العربى فى فلسطين فى منتصف القرن العشرين رمزا للطبيعة المزدوجة التى يتسم بها المخطط الصهيونى الذى بدأ يعمل فى فلسطين منذ نهاية القرن التاسع عشر ٠

أولا ـ الاطار التاريخي للاستعمار الصهيوني

لقد حفزت عملية « التدفق الجنوني نحو القارة الافريقية في سنة ١٨٨٠ » على بداية عملية الاستعمار الصهيوني في فلسطين • ففي الوقت الذى كان يتدفق فيه الباحثون عن الثروة والمستعمرون الجدد وبناة صرح الامبراطوريات الأوربية نحو القارة الافريقية كان المهاجرون الصهيونيون ومؤسسو الدولة الصهيونية المستقبلة يتدفقون نحو فلسطين •

لقد وقع بعض اليهود تحت تأثير مبدأ القومية اليهودية الذى أخذ يجتاح القارة الأوربية فاعتقدوا أن الروابط الدينية والروابط العنصرية المزعومة تشكل « قومية » يهودية وتعطى الأمة اليهودية المزعومة حق « الوجود » على أرض تكون ملكا لها وحق انشاء « دولة » يهودية • ونظرا لأن هناك أمما أوربية قد استطاعت بنجاح أن تنتشر في قارتي آسيا وافريقيا وقد ضمت الى أراضيها الامبراطورية مناطق واسعة من هاتين القارتين فان « الأمة اليهودية » ـ كما زعموا في ذلك الحين ـ من حقها اذن بل وفى قدرتها أن تعمل نفس العمل لحسابها الخاص • وهى اذ قد سارت على نهج الامبراطورية الاستعمارية التى قامت بها « الأمم » التى كان اليهود يعيشون فى داخلها فقد رأت « الأمة اليهودية » أنها تستطيع اذن أن ترسل مستعمريها اليهود فى جزء من الأرض الافريقية الآسيوية وأن تقيم عليها « مجتمع » من المستعمرين ثم دولة خاصة عندما يحين الوقت المناسب • ولن تكون حينئذ هذه الدولة مركزا أماميا امبرياليا لدولة كبيرة بل وطنا حقيقيا تفد اليه ان آجلا

أو عاجلا « الأمة اليهودية » بأكملها . وستتم هكذا عملية استيطان « القومية اليهودية » وهى نفس العملية التى استخدمتها بعض الأمم الأوربية الأخرى لتشييد صرح امبراطورياتها . « فالاستعمار هذا بالنسبة للصهيونية هو اذن أداة لتشييد أمة وليس هو ثمرة لقومية قائمة بالفعل » .

ولم تحقق عملية الاستعمار اليهودى المرتجلة النجاح الكبير المرجو لها وذلك على رغم كثرة الاعانات التى قدمها لهذا الغرض رجال المال اليهود الأوربيين . ذلك لان امكانيات الهجرة الجديدة الى الولايات المتحدة الامريكية والأرجنتين كانت تجذب اليها اليهود أكثر من نداء التفرقة العنصرية الذاتية كمقدمة لتشييد صرح دولة فى فلسطين . وقد كان يمكن تحقيق هدف « الفرار » من الاجراءات التى اتخذت ضد اليهود فى بعض المجتمعات الأوربية بعملية تهجير فى القارة الامريكية . الا أن هدف « تشييد أمة » - وهو الهدف الذى كان يستطيع وحده أن يجعل هذا الحل الأخر من الاستعمار على نطاق واسع فى فلسطين مرغوبا فيه - لم يكن منتشرا الى درجة كبيرة بين اليهود الاوربيين فىأواخر القرن التاسع عشر .

* * *

وقد أدى فشل المجهود الأول الذى بذل وهو تهجير مجتمع من المستعمرين الصهيونيين فى فلسطين خلال الخمسة عشر السنة الأولى من تاريخ الاستعمار الصهيونى (١٨٨٢ - ١٨٩٧) الى اعادة النظر بشكل جذرى فى هذه المسألة بالنسبة للاستراتيجية التى تتبع حيالها . وقد نجح المؤتمر الصهيونى الأول الذى عقد فى بال (سويسرا) فى أغسطس سنة ١٨٩٧ برئاسة تيودور هرزل فى مهمته هذه .

وكان عليهم اذن أن يصرفوا النظر ـ منذ ذلك الحين ـ عن عملية التهجير العشوائية الى فلسطين عن طريق الاعانات التى كان يمدها به رجال المال الأثرياء من اليهود باعتبارها عملية خيرية ـ استعمارية وأن يحلوا محلها مخططا قوميا محضا لعملية استعمارية استيطانية منظمة تتسم بأهداف سياسية محددة وبتأييد جماعى من الجماهير اليهودية • وقد كان الهدف الاجمالى للحركة الصهيونية كما نص عليه مؤتمر بال فى سويسرا هو الآتى : « ان الهدف من قيام الحركة الصهيونية هو انشاء موطنا فى فلسطين للشعب اليهودى يتمتع فيه بضمان من القانون الدولى العام »(١) • ومن الطريف أن نذكر أن الصهيونيين كانوا يفضلون استخدام كلمة « موطنا » عن كلمة « دولة » التى كان يمكن أن تثير معارضة من جوانب كثيرة ، وذلك طيلة الفترة الممتدة من مخطط بال (سويسرا) سنة ١٨٩٧ حتى مخطط بالتيمور سنة ١٩٤٢ • الا أن الصهيونيين كانوا يهدفون منذ البداية الى انشاء « دولة » من المستعمرين فى فلسطين وذلك على رغم أنهم كانوا يعلنون عكس ذلك •

وفى ختام مؤتمر بال كتب هرزل فى مذكراته بهذا الشأن : « اذا كان على أن ألخص مؤتمر بال فى كلمة واحدة فانى أقول : لقد أسست الدولة اليهودية فى بال » • واذا ما أعلنت ذلك اليوم فلن أثير سوى السخرية العالمية • ولكن

---

(١) كوهين ، اسرائيل « موجز لتاريخ الصهيونية » لندن فريديك مولر وشركاه ، سنة ١٩٥١ صفحة ٤٧

العالم بأسره سيري ويتحقق من ذلك ربما خلال خمس سنوات وقطعا خلال خمسين سنة »(١) ·

وبخلاف ما أعلنه مؤتمر بال بشـــأن الهدف الاسمى للحركة الصهيونية فقد أجرى هذا المؤتمر تشخيصا وتحليلا للطابع الخـــاص الذى يتسم به الاســـتعمار الصهيونى في فلسطين ولظروفه الخاصة ثم وضع مخططا عمليا مناسبا لهذه الظروف الخاصة · وقد تميز الاســـتعمار الصـــهيونى فى فلسطين عن الاستعمار الأوربى فى قارتى آسيا وافريقيا بثلاث نواح أساسية تتطلب عمليات ابتكار من جهـــة الصهيونيين وهى :

١ ـ أن المستعمرين الأوربيين الآخـــرين الذين وفدوا (أو كانوا يفدون) الى مناطق أخرى من قارتى آسيا وافريقيا كانوا مدفوعين الى ذلك بدوافع اقتصـــادية أو بدوافع سياسية ـ امبريالية : لقد ذهبوا للبحث عن ثروات عن طريق عملية اســـتغلال لثروات طبيعية هائلة وهـــذه العملية تتمتع بامتيازات كبيرة وبأمن وحراسة قوية · اذ أن هؤلاء قد ذهبوا لاعـــداد الطريق أمام الحكومات الأوربية الامبريالية (أو حتى لمساعدة هذه الحكومات) وذلك بأن تضم اليها هذه الأراضى المرغوب فيها · أما المستعمرون الصهيونيون فلم تكن هذه الرغبة أو تلك

---

(١) هرزل تيودور ، تاجى بوخر ، المجلد الثانى صفحة ٢٤ ، وقد ذكر كوهين اسرائيل فى كتابه « موجز لتـــاريخ الصهيونية » فى صفحات ١١ ، ٤٧ ، ٤٨

هى التى تحركهم وتثيرهم • لقد كانوا مدفوعين الى استعمار فلسطين « للحصول على وطن خاص بهم » ولتأسيس دولة يهودية مستقلة عن أية حكومة قائمة وغير تابعة لاحداها وهى فى نفس الوقت تجذب يهود العالم بأسره نحو أراضيها •

٢ ـ ربما استطاع بعض المستعمرين الآخرين التعايش مع أهالى البلد الأصليين بحيث يستغلونهم ويسودون عليهم ويطالبونهم بخدمتهم وبالتالى يسمحون لهم بالعيش والوجود فى هذه الأرض المرغوب الاستيلاء عليها • أما المستعمرون الصهيونيون فهم لا يوافقون على تعايش مستمر مع أهالى فلسطين وذلك لأن فلسطين كان يسكنها العرب فى جميع أرجائها وكان وعيهم القومى قد بدأ يتفتح ويتوق الى الاستقلال القومى • ولم يكن الاستعمار الصهيونى يستطيع أن يحقق لنفسه النمو الطبيعى الذى رسمته له الحركة الصهيونية طالما ظل الشعب العربى الفلسطينى ساكنا فى وطنه • ولم تكن الأمانى « السياسية » الصهيونية تستطيع تحقيق التفرقة العنصرية الذاتية وتحقيق قيام شكلها القومى طالما كان هناك شعب عربى يعى قوميته ويعيش فى فلسطين • « وهكذا كان الاستعمار الفلسطينى يتميز عن أى استعمار أوربى ، اذ أنه كان لا يتفق أساسا مع استمرار وجود « الشعب الأصلى » فى الأراضى المبتغاة »

٣ ـ لقد استطاع بعض المستعمرين الأوربيين التغلب ـ بدون الكثير من العناء ـ على العوائق التى كانت تعترض اقامتهم فى المناطق التى اختاروها لأنفسهم : ذلك لأنهم

كانوا يستطيعون الاعتماد على حماية أسيادهم وولاتهم الامبرياليين . أما بالنسبة لمستعمرى فلسطين من الصهيونيين فلم يكونوا ليتوقعوا مثل هذه التسهيلات . ذلك لأنه علاوة على « الشعب العربى الفلسطينى » الذى كان سيقاوم بكل تأكيد تدفق الاستعماريين الذين سيعلنون هدفهم — لا سيما هدف نزع ملكية السكان الأصليين — فانه كان على الصهيونيين أن يواجهوا مقاومة « السلطات العثمانية » التى لم تكن لتنظر بعين الارتياح الى اقامة مجتمع أجنبى فى قطاع هام من قطاعات امبراطوريتهم لا سيما وأن هذا المجتمع كان يهدف الى اقامة دولة مستقلة فى أرجائه .

* * *

ولتجنب هذا الموقف الشائك لم تكتف الحركة الصهيونية — فى مؤتمرها الصهيونى الأول — بتفسير « هدفها الأسمى » فقط بل قامت بوضع « مخطط عملى مناسب » . وقد كان هذا المخطط يدفع الى العمل فى ثلاثة ميادين وهى : التنظيم ، الاستيطان ، المفاوضة .

١ — ولقد أعطيت أولوية قصوى لعملية « التنظيم » . فنظرا لعدم وجود هيكل تنظيمى لدولة فى بلد تملكها هذه الدولة وتشرف على عملية التهجير اليها من البلاد الواقعة فيما وراء البحار فقد كانت الحركة الصهيونية تحتاج فى الواقع الى منظمة تشبه الدولة للقيام بهذه المهام . وقد أنشئت لذلك فى بال المنظمة الصهيونية العالمية مع ما يتبعها من اتحادات المجتمعات المحلية ، ومؤتمرها ومجلسها العام وجهازها التنفيذى المركزى .

٢ ـ أعدت فورا أدوات « الاستعمار الاستيطانى » بشكل منظم • وهكذا نظمت المنظمة الصهيونية « الاتحاد الاستعمارى اليهودى » (فى سنة ١٨٩٨) ، و « اللجنة الخاصة بالاستيطان » (سنة ١٨٩٨) ، و « البنك القومى اليهودى » سنة ١٩٠١ ، و « وكالة فلسطين » ١٩٠٨ ثم « جمعية تحسين أراضى فلسطين » • وقد كان الهدف المشترك الذى تسعى هذه المنظمات الى تحقيقه هو تخطيط عملية الاستيطان وتمويلها والاشراف عليها ثم العمل على ألا يصيبها نفس المصير الذى أصاب عملية الاستيطان التلقائية السابقة •

٣ ـ وفى نفس الوقت الذى أنشئت فيه أدوات الاستيطان بكل نشاط بذلت فيه أيضا جهود دبلوماسية لخلق « الظروف السياسية » اللازمة التى تساعد وتسهل وتحمى عملية الاستيطان على نطاق واسع •

وقد تركزت أساسا هذه الجهود فى البداية على الامبراطورية العثمانية التى كانت تتولى حينئذ المقدرات السياسية فى فلسطين • وقد تمت اتصالات مباشرة مع السلطات العثمانية • وقدمت للسلطان وعود مادية مغرية على شكل هبات وقروض مالية • ثم طلب الى البلاد الأوربية الكبيرة أن تتدخل لدى الباب العالى لمصلحة المنظمة الصهيونية لاقناع السلطان بمنح هذه المنظمة ميثاقا ينص فيه على اقامة مستعمرة صهيونية مستقلة فى فلسطين • وقد بذلت جهود أخرى لحمل امبراطور ألمانيا على الاكتتاب من أجل انشاء جمعية لاصلاح الأراضى يديرها الصهيونيون فى فلسطين وذلك تحت الاشراف والرعاية الألمانية • وقد بذلت أيضا فى

نفس الوقت محاولات أخرى للحصول على تصريح من الحكومة البريطانية باقامة مستعمرة صهيونية مستقلة فى شبه جزيرة سيناء قد تصلح مستقبلا كنقطة ارتكاز للاستيطان فى فلسطين • ومع ذلك فلم تؤد أى من هذه الجهود الى نتيجة مثمرة على الاطلاق •

وفى نهاية العشريات الأولى من هذا القرن وهى التى تلت بداية الحركة الصهيونية الجديدة فى سنة ١٨٩٧ لم تحرز الصهيونية تقدما كبيرا فى دفع مخططها الاستعمارى الذى وضعته دفعة قوية الى الأمام بل ان جهودها السياسية لم تحرز نجاحا يذكر للحصول على تصريح أو تسهيلات حكومية من أجل استعمار فلسطين •

وعندما تحطمت آمالها فى تحقيق استعمار على أساس قانونى غيرت الصهيونية استراتيجيتها من جديد واتجهت نحو تحقيق الاستعمار عن طريق الأمر الواقع وكانت تأمل بهذه الطريقة الحصول على قوة سياسية تكون عونا كبيرا لها عندما يحين الوقت الذى تستطيع فيه أن تجدد محاولتها ليتحقق لها الحصول على اعتراف سياسى • ولذلك بدأت مرحلة جديدة للاستعمار الصهيونى فى ١٩٠٧ ــ ١٩٠٨ وذلك دون الحصول على « سند شرعى » سابق أو ضمان ما من جانب أية دولة أوربية • وقد تميزت هذه الفترة بدفعة قومية واعية وبموقف مناضل من أجل التفرقة العنصرية بالنسبة للعرب الفلسطينيين وباهتمام أكبر للاعتبارات السياسية والاستراتيجية بشأن اختيار مواقع المستعمرات اليهودية الجديدة • وعلى رغم اتساع نطاق هذه الموجة الاستعمارية الصهيونية الثانية فلم يكن النجاح الذى حققته أكثر بروزا عنه فى الموجة الأولى وجدير

بالذكر أن هذه الموجة الثـــانية كانت قوية وقائمة على وعى ايديولوجى عميق •

وفى بداية الحرب العالمية الأولى وبعد نشاط وعمـــــل استمر أكثر من ثلاثين عاما لم يكن الاستعمار الصهيونى فى فلسطين قد حقق سوى نجاحا ضئيلا •

أولا : لم يكن الصهيونيون يشكلون سوى أقلية ضئيلة تعادل ١٪ من يهود العـــالم تقريبا • وقد أثاروا بنشـــاطهم مخاوف ومعارضة اليهود الآخرين الذين كانوا يحاولون ايجاد حل « للمشكلة اليهودية » عن طريق « اســتيعابهم » فى بلاد غرب أوربا أم فى الولايات المتحدة الامريكية وليس فى التفرقة العنصرية الذاتية فى فلسطين •

ثانيا : لقـــد كانت عملية الاستعمار الصهيونى تنمـــو وتتقدم بشكل بطىء للغاية • فبعد ثلاثين عاما من بدء عملية الهجرة اليهودية الى فلسطين لم يكن اليهـــود يشكلون سوى ٨٪ من مجمـــوع عدد السكان فى هـــذه البلاد ولم يكونوا يمتلكون أكثر من ٢ ½٪ من الأراضى •

ثالثا : لم تستطيع الصهيونية الحصول على المســـاندة السياسية من جانب السلطات العثمانية التى كانت تشرف على الأمور فى فلسطين أو من جانب أية دولة أوربية كبيرة أخرى •

الا أن الحرب قد أدت الى ظهور ظروف جديدة كان من شأنها أن تعمل على تحسين مصير الاســـتعمار الصهيونى فى فلسطين • ذلك لأن الحرب قد مهدت الطريق لعقـــد تحالف ــ فى سنة ١٩١٧ ــ بين الامبريالية البريطانية وبين الاستعمار الصهيونى وهـــو التحالف الذى فتح أبواب فلســـطين أمام

المستعمرين الصهيونيين خلال الثلاث العشريات التالية كما أنه سهل اقامة مجتمع من المستعمرين الصهيونيين وأعد الطريق لنزع ملكية الممتلكات العربية وطرد الشعب العربى الفلسطينى وانشاء دولة المستعمرين الصهيونيين وذلك فى سنة ١٩٤٨ ٠

فبينما فشل « الاستعمار الصهيونى العامل بمفرده » خلال الثلاثين عاما التى سبقت الحرب العالمية الأولى ولم ينجح فى احراز نجاح يذكر استطاع التحالف القائم بين الاستعمار الصهيونى والامبريالية البريطانية أن ينجح فى تحقيق أهداف طرفى التحالف وذلك خلال الثلاثين سنة التى جاءت بعد الحرب العالمية الأولى مباشرة ٠

ثانيا ــ التحالف بين الامبريالية البريطانية والاستعمار الصهيونى

كانت السياسة البريطانيـــة فى الشرق الأوسط تدور ــ حتى فترة الحرب العـــالمية الأولى ــ حول بقـــاء ســـلامة الامبراطورية العثمانية فى آسيا • وكانت الممتلكات الأوربية لهذه الامبراطورية قد تحررت من السيادة العثمانية كما كانت ممتلكاتها فى القارة الافريقية قد استولت عليها بعض الدول الأوربية قبل الحرب بمدة طويلة وضمتها الى ممتلكاتها ، بينما ظلت الممتلكات العثمانية فى القارة الآســـــيوية فى منأى عن التنافس الامبريالى بين الدول العظمى الأوربية • وقد كانت المصالح البريطانية فى هذه المنطقة وهى الاشراف على قنـــال السويس وحصانة المنطقة ضد أية سيطرة منافسة أوربية على « طريق الهند البرى » فى مأمن وهى فى أيدى الامبراطورية العثمانية الوديعة عنها اذا ما حدث « تدفق أوربى نحو الشرق الأوسط » قد يجر وراءه هـــــذا المنافس أو ذاك من منافسى بريطانيا العظمى ويأتى به بجوار القنال أو فى « هذا الطريق البرى » •

ومع ذلك فعندما انضمت تركيا ــ خــلال الحرب ــ الى الدول المركزية تبددت مقدمتا البرهان القائم عليهما سياســة بريطانيا الامبريالية فى الشرق الأوسط وذلك بين يوم وليلة • وكان على بريطانيـــا أن تستخدم بعض الفروض السـياسية الأخرى أثناء فترة ما بعد الحرب •

ففى المقام الأول فكرت بريطانيا العظمى فى تنظيم جديد بالنسبة للشرق الأوسط يحل الاستقلال العربى بموجبه مكان السلطة الامبريالية العثمانية فى جنوب غربى آسيا . وقد عقدت بهذا الشأن اتفاقيات فى نهاية سنة ١٩١٥ كان من نتيجتها قيام حركة عصيان عربية فى سنة ١٩١٦ ضد تركيا .

الا أن الضغط الذى مارسته بعض الدول الأوربية العظمى ـ وقد كانت حينئذ حليفة لبريطانيا ـ قد بدد كل تبعية انجليزية مطلقة . فقد وقعت ـ خلال خريف ١٩١٦ ـ اتفاقيات سرية بين بريطانيا وفرنسا وروسيا القيصرية لتقسيم الغنيمة العثمانية فيما بينها .

وقد اتضح سريعا للساسة الانجليز الاكثر اهتماما بالامبراطورية أن هذه الاتفاقيات تبدو غير مريحة لهم لأنها كانت فى الواقع تهدد بجر فرنسا بطريقة خطيرة على الضفاف الشرقية لقنال السويس . وحيث أن تجارب الحرب الأخيرة قد نزعت من الانجليز كل شعور بالأمن (وهو الشعور القائم على حصانة شبه جزيرة سيناء) فقد اعتقدوا أنه يجب المحافظة ليس فقط على شبه جزيرة سيناء بل على فلسطين أيضا وذلك حتى يطمئنوا الى وضع القنال فى حالة من الأمن . وهكذا نرى أن الاتفاقية الفرنسية ـ الانجليزية التى وقعت سنة ١٩١٦ والتى كانت تنص على تدويل أكبر قسط من فلسطين قد أزعجت نفس هؤلاء الساسة الانجليز كما أن المطالبات الفرنسية بشأن فلسطين بأسرها لم يكن من شأنها تبديد مخاوف الامبرياليين البريطانيين .

وفى بداية سنة ١٩١٧ كانت هنـــاك حكومة انجليزية جديدة تحاول أن تجـــد بكل دأب ونشاط الوســـائل التى تستطيع بها التحلل من الاتفاقيات التى كانت الحكومة السابقة لها قد عقدتها مع فرنسا بشأن تقسيم غنائم الحرب بالنسبة للممتلكات العربية التابعة للامبراطورية العثمانية فيما بينها. وفى هذه الآونة أخذت المحاولات الصــهيونية ـ بتحريض من بريطانيا العظمى ، وهى التى لم تكن مثمرة فيما قبل ـ تنشط من جديد لضمان تأييد بريطانيا لها من أجل فرض ســيطرة صهيونية على فلسطين ٠

وقد ساهمت هنـــا المصالح المتبادلة فى الجمـــع بين الامبراطورية البريطانيـــة والاســـتعمار الصهيونى ٠ وقد استخدمت بريطانيا العظمى النفوذ الصـــهيونى فى الولايات المتحدة الامريكية وفى فرنسا لاستبعاد فكرة تدويل فلســطين وذلك على زعم أن مخطط الاســـتعمار الصهيونى الذى سيتم تحت رعاية الانجليز سيتطلب فرض السيادة البريطانية عـــلى فلسطين ٠ هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى نرى أن بريطانيا العظمى حينما تلعب دورها هذا الذى يعجل من تعيين بريطانيا كدولة حاكمـــة فى فلسطين فهى تعطى حينئذ للصـــهيونية الفرصة فى أن تقوم بتنفيذ المخطط الذى طالما انتظرت تنفيذه ولا سيما المخطط الخاص باستعمار هذه الأراضى المنشودة على نطاق واسع تحت رعاية وحمـــاية دولة عظيمة ٠ وقد تضمن بريطانيا العظمى بذلك أن مجتمع المســـتعمرين الصهيونيين المدعم ســـيظل تابعا الى ما لا نهاية للحماية البريطانيـــة وسيستمر فى فرض وتبرير الوجود البريطانى فى فلسطين ٠ ذلك بينما الصهيونية من جانبها تضمن أيضا أن بريطانيـــا

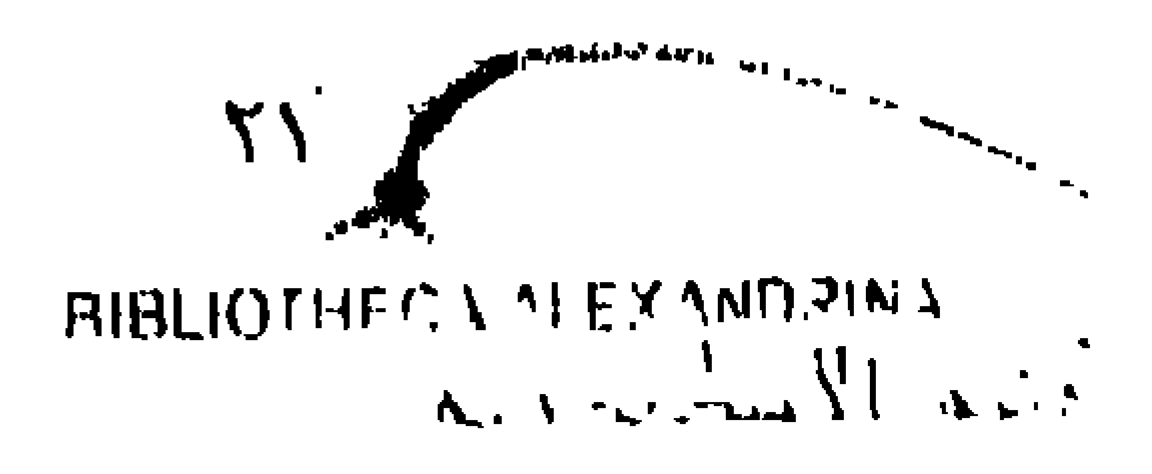
العظمى وقد التزمت أمام الرأى العام العالمى ، بموجب تعهدها الحربى – فى تسهيل عملية الاستعمار الصـــهيونى فتسهل تقديم الحماية اللازمة لمجتمع المستعمرين الصهيونيين خـــلال المراحل الأولى من مراحل تكوينه تجاه ما سيثار ضده بكل تأكيد من معارضة عربية • وقد كان تحالف المصلحة المتبادلة الذى جمع بين الامبريالية البريطانية والاســـتعمار الصهيونى كاملا •

* * *

وقد حققت الجهود الصـــهيونية الأولية التى بذلت من أجل ضمان موافقة الولايات المتحدة الامريكية بعض النجـــاح وذلك على رغم ما أبرزه الرئيس ويلسون بشـأن مبدأ تقرير المصير وهو المبدأ الذى يتعارض مع الاستعمار الصـــهيونى فى فلسطين والذى كان على الصهيونيين أن يعملوا على مواجهتـه علاوة على مواجهتهم للمعارضة العربية • وكذلك كانت الجهود التى بذلها الصهيونيون فى نفس الوقت فى باريس للحصول على موافقة فرنسا على اعادة النظر فى الاتفاقيات التى سبق أن أبرمت بين فرنسا وانجلترا بشأن مستقبل فلسطين مشجعة بعض الشىء • وعندما تم هذا الاجراء الاعدادى أعلنت بريطانيا العظمى خط سياستها فى يوم ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ وهـــو ما يعرف بشـــكل عام تحت اسم وعـــد بلفور حيث أعلنت بريطانيا مساندتها لخلق « وطنا قوميا » لليهود فى فلسطين• وقد طلب الصهيونيون – كما كان ذلك متوقعـا – من مؤتمر السلام أن تعطى بريطانيا حق الانتداب على فلسطين • وقـــد

عملت بريطانيـــا بدورها على تضمين التزامها ـ وهو الذى أعلنتـــه فى تصريح بلفور ضمن نص منحها الانتداب عـــلى فلسطين • وهكذا فتح الطريق أمام الامبريالية البريطانيـــة وأمام الاستعمار الصهيونى معا لكى يحققا معا أهدافهما •

ولم تتوان بريطانيا فى خلق الظروف التى كان يتطلبها الاستعمار الصهيونى • فقد عينت يهوديا صهيونيا فى منصب المندوب السامى فى فلسطين • كمـــا أنها اعترفت بالمنظمـــة الصهيونية العالمية باعتبارها « وكالة يهودية » تمثل اليهود • وقد فتحت أبواب فلسطين للهجرة الصهيونية على نطاق واسع وذلك رغم الاحتجاجات العربية • وقد منحت ممتلكات الدولة للمستعمرين الصهيونيين كما أنها فرضت حمايتها على منظمات « الموطن القومى » الجديد • وقد سمحت للمجتمع الصهيونى بادارة مدارسه الخاصة والاستمرار فى تنظيمه العســـكرى (الهاجانا) • وقامت بتدريب القوات المجاهدة الصـــهيونية (لا بالماك) وتغافلت عن وجود منظمات « سرية » ارهابيـــة (مثل جماعة شتيرن وارجـــون) • ولم يكن من الغريب أن تصف لجنة ملكية بريطانية مجتمع المستعمرين الصهيونيين فى فلسطين فى منتصف الأربعينات بأنها « دولة داخل دولة » • وفى نفس الوقت كانت الأغلبية العربية ـ وهى التى طالمـــا أكدت لها بريطانيا بأنها ستسهر على ألا يمس الحقوق العربية ذلك النمو السريع الذى يسير على منواله مجتمع المستعمرين الصهيونيين ـ لا يوافق لها على منحها مثل هذه التسهيلات بل انها حرمت حتى من الوسائل التى تحمى بها نفسها •



وفى نهاية الحكم البريطانى الذى دام ثلاثين عاما بلغ مجتمع المستعمرين الصهيونيين اثنى عشرة أضعاف حجمه الذى كان عليه سنة ١٩١٧ وأصبح يمثل ثلث شعب فلسطين • وفى نفس ذلك الوقت أقام هذا المجتمع ـ تحت رعاية سلطة الانتداب ـ مؤسساته الخاصة بشبه الحكومية وقوة عسكرية على درجة كبيرة من الأهمية •

* * *

ومع ذلك فان بريطانيا لم تتحد مع الصهيونية فى فلسطين من أجل خدمة مخططات الاستعمار الصهيونى فحسب • فكلما أسرعت الصهيونية فى عملية تشييد دولتها (وهو ما يجعل الوجود البريطانى فى فلسطين غير ضرورى وغير مرغوب فيه فى نظر الصهيونيين) كانت بريطانيا تشد الحبل الى الاتجاه المضاد لتخفيف هذه السرعة • وقد عجلت الحرب العالمية الثانية من الخاتمة التى أدت الى انفصام التحالف الانجليزى الصهيونى •

ففى أواخر الحرب العالمية الثانية أصاب بريطانيا الضعف والوهن من جراء هذه الحرب كما أدى استقلال الهند المحتم الى التقليل من اهتمام بريطانيا بهذا التحالف وذلك بينما اضطرت المعارضة المتزايدة من جهة الدول العربية المنشأة حديثا للدور الذى تلعبه بريطانيا فى فلسطين الى جعلها تتحفظ بعض الشىء فى مساندتها للقضية الصهيونية وهى تلك المساندة التى كانت من قبل كاملة وبلا حدود • ومن ناحية أخرى كان لارتقاء الولايات المتحدة لمرتبة الدولة العالمية العظمى النشيطة ونظرا لما لها من مصالح اقتصادية

واستراتيجية فى الشرق الأوسط وللعطف المتزايد الذى يكنه الساسة الامريكيون للقضية الصهيونية فرصة لتحقيق آمال الصهيونية وذلك بايجاد ضامنا غريبا جديدا فى هذه المرحلة الحاسمة من مراحل الاستيلاء على فلسطين ٠

وهكذا وفى منتصف الخمسينيات وبينما تمتع الاستعمار الصهيونى فى فلسطين بحماية الامبراطورية البريطانية لمدة ثلاثين عاما كان هذا الاستعمار يبحث عن حليف قوى ومجاهد فى سبيله ويستطيع أن يمد له يد المساعدة فى كفاحه المقبل من أجل الحصول على صفة قومية ٠ وقد ظهرت الولايات المتحدة وكانت مستعدة استعدادا طيبا يتفق مع ما تشعر به الصهيونية من احتياجات ٠

« واذا كانت عصبة الأمم الأداة المختارة لمنح الجمعية الانجليزية ـ الصهيونية شكلا من أشكال الاحترام الدولى فقد استخدمت منظمة الأمم المتحدة لتحقيق هدف مشابه لذلك عن طريق التفاهم الصهيونى الامريكى ٠ لقد حصلت بريطانيا من عصبة الأمم التى كانت تسيطر عليها دول أوربا على موافقتها على قيام استعمار صهيونى أوربى فى فلسطين أما الولايات المتحدة الامريكية فقد حملت الأغلبية الأوربية الامريكية على كسر وهزيمة المعارضة التى قامت بها الأقلية الافريقية الآسيوية داخل الجمعية العامة وعلى اعتماد قيام دولة استعمارية صهيونية على الجسر الافريقى الآسيوى ، على الأرض العربية فى فلسطين » ٠

فبخلاف اتحاد جنوب افريقيا وهى الدولة التى تحكمها أقلية من المستعمرين الأجانب لم يوافق أى بلد افريقى أو

آسيوى على « مشروع التقسيم » الذى عرضته اللجنة الخاصة بفلسطين على الجمعية العامة • وعلى رغم أن بلدا افريقيا واحدا وآخر آسيويا (بخــــلاف اتحاد جنوب افريقيا) قد أعطيــا صوتيهما فى عملية التصويت النهــــائى التى جرت يوم ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ بالموافقـــــة على التوصية المقترحة الا أن التأييد الحماسى لهـــــذا الاقتراح كان فقط من جانب أوربا وأستراليا ونصف العالم الغربى • « وقد أدخلت دولة أجنبية فى ملتقى القارتين : أفريقيا وآسيا وذلك دون موافقة أى بلد افريقى أو آسيوى مجاور » •

وفى هذه المرحلة من مراحل المأساة التاريخية لفلسطين وجد العرب الفلسطينيون أنفسهم ــ بعـــد ثلاثين عاما ذاقوا فيها ويلات القمع البريطانى ــ غير قادرين على مقاومة الحملة التى قام بها المجتمع الصهيونى وهو المجتمع الذى تم تنسيقه وتنظيمه وتدريبه وتسليحه ومساندته عن طريق المجتمع الدولى وهو المجتمع الأوربى والامريكى فى ذلك الحين •

وهكذا لم يفقـــد فقط الشعب العربى فى فلســـطين « الاشراف السياسى » على بلده الخاص بل فقد أيضا « بلده ذاتها » • لقد طرد الفلسطينيون بالقوة من وطنهم واذ قد تم تجريد أرضهم من سكانها الشرعيين بدون رحمة فقـــد فتحت هذه الأرض لموجة جـــديدة من الاستعمار والتهجـــير المنظم والممول على نطاق واسع • وقد نفذت عملية الاستعمار هــذه لصبغها بصـــبغة « الأمر الواقع » خشية ألا يوافق على ذلك الرأى العام الدولى •

* * *

وقد حل تحـــالف الاستعمار الصهيونى مع القــوة الامبريالية الغربية بشكل مؤقت بعد أن خدم قضيته • الا أن هذا التحالف قد بعث على شكل جديد لكى يتلاءم مع الظروف العالمية الجديدة ومع المرحلة الجديدة من مراحل الاســـتعمار الصهيونى • فلم يكد أحد الضامنين الغربيين ينزوى فى الظلام حتى تدافع ضامنون آخرون على مسرح الأحداث • وعلى رغم أن الاستعمار الصهيونى قد استبدل حلفاؤه بمهارة الا أنه لم يترك لذلك استراتيجية الأحـــلاف الامبريالية • ذلك لأن بدون حبل الحيـاة الذى يربط بين المستعمرين الصهيونيين وبين منابع تموينه وسلطته فى الخارج لا تستطيع الصهيونية أن تحصل الا على قدر ضئيل من القوة التى تجعلها تعيش من وسائلها الخاصة •

بل وحتى تحالفها مع الاستعمار البريطانى لم يفصم الا بشكل مؤقت • ذلك لأنه عندما حان الوقت لاعادة النظر فى الاستراتيجيـــة الامبريالية البريطانية على أثر ما طرأ عـــلى الظروف العالمية من تعديل فقـــد بحثت بريطانيا عن التزام جديد مع الاستعمار الصهيونى وذلك لتنفيذ استراتيجيتها • وكان هذا الالتزام يهدف حينئذ الى تحقيق أهداف توســعية اقليمية داخل اطار الدولة الجديدة • وقد سويت فى الحال الخلافات التى كانت قائمة بين الحلفاء القدامى وبين الجمهورية الرابعة فى فرنسا • وقد نتج عن ذلك مباشرة العــدوان على مصر سنة ١٩٥٦ •

وعندما تبين للصـــهيونية ــ بعد انهيار الجمهـــورية الفرنسية الرابعة وبعد الاختبــــار المخجل الذى قاست منه

بريطانيا فى السويس سنة ١٩٥٦ ـ أن تبعية دولة المستعمرين الصهيونيين لهذين البلدين لم تعد صالحة لاستيراد أدوات العدوان منها أخذت تلك الصهيونية تبحث ـ بدون عناء ـ عن دولة أوربية أخرى تستورد منها أسلحتها العدوانية • وقد أعطى هذا الدور الى جمهورية ألمانيا الاتحادية التى أسرعت ـ بايعاز من الولايات المتحدة الامريكية ـ فى تقديم مساعدة اقتصادية على نطاق واسع وهبات عسكرية عديدة اتفق عليها سرا وأعطيت لها فى ظل الكتمان .(وقد كان الدافع أيضا لذلك الضمير الألمانى المعذب والذى عرفت الصهيونية العالمية كيف تتلاعب به وتحركه • وهذا ما حدى بالجمهورية الاتحادية الألمانية الى تقديم مساعداتها الى الدولة الصهيونية تحت اسم « التعويضات ») •

وعلى رغم جميع وسائل الحياة والبقاء التى استطاعت أن تحصل عليها أكان عن طريق هذه الدولة الغربية أو من تلك فقد ظلت الدولة الصهيونية « جسما غريبا » فى المنطقة العربية • « ولم يكن فقط ارتباطها الحيوى والمستمر مع الإستعمار الأوربى ثم ادخالها وسائل الاستعمار الغربى فى فلسطين هو الذى جعل منها مجتمعا غريبا وأجنبيا فى الشرق الأوسط بل ان ما أضفى عليها هذا الشكل هو أيضا المنهج الذى اختارته لنفسها وهو منهج العنصرية المطلقة والتفرقة العنصرية الذاتية • ولا نجد نصا مكتوبا يصف بوضوح الطابع الأجنبى الأساسى لتلك الدولة الصهيونية أكثر من هذا النص الذى كتبه رئيس وزرائها المخضرم وهو يقول فيه ما يأتى :

« ليست دولة اسرائيل جزءا من الشرق الأوسط سوى من الناحية الجغرافية فحسب ويعتبر ذلك على أى حال عنصرا ستاتيكيا • أما من الناحيـــة الديناميكية ـ أى من ناحيـة التشييد والتنمية ـ فان اسرائيـــل تعتبر جزءا لا يتجزأ من الحركة اليهودية العالمية • فهى تستمد من هـــذه الحركة اليهودية كل قوتها ووسائل اقامة أمة فى اسرائيل ووسائل تنمية واستثمار أرضها • فبفضل الحركة اليهودية العـــالمية ستشيد اسرائيل نفسها وسيعاد تشييدها »(١) •

---

(١) بن جوريون ، دافيد « بعث اسرائيل ومصيرها » • نيويورك ـ المكتبة الفلسفية ، سنة ١٩٥٤ ، ص ٤٨٩ •

طابع دولة المستعمرين الصهيونيين

الى جانب ارتباطه الحيوى بالامبريالية ، ووضعه الحتمى كشىء أجنبى دخيل على منطقة الشرق الأوسط ، فان التشخيص السياسى للاستعمار الصهيونى (أى دولة المستعمرين الصهيونيين : اسرائيل) تتسم بصفة جوهرية بقسمات ثلاث:

١ ـ طابعها العنصرى وسلوكها العنصرى ٠

٢ ـ ميلها للعنف ٠

٣ ـ اتجاهها التوسعى ٠

١ ـ العنصرية

ليست العنصرية طابعا اكتسبته دولة المستعمرين الصهيونيين ٠ كما انها ليست أيضا صفة عارضة أو وقتية على المسرح الاسرائيلى ٠ ان العنصرية صفة خلقية ولدت بولادة الدولة الاسرائيلية ، صفة جوهرية ، صفة دائمة لا تزول ٠ ذلك لان العنصرية ملازمة للايديولوجية الصهيونية نفسها ، وللباعث الأساسى للاستعمار الصهيونى ولخلق الدولة الصهيونية ٠

ان الصهيونية هى الايمان بالوحدة القومية لجميع اليهود ، الذين لا يمكن أن تتأكد ذاتيتهم وشخصيتهم الا بناء على ما افترضته الصهيونية من أن لهم أصل غابر مشترك ٠

وطبقا للعقيـــدة الصهيونية ، لا تشـكل **لا الديانة ولا اللغة** « الرباط القومى » المفترض لليهود : لأن الصهيونيين ، الذين هم فى الواقع يهود مؤمنون أو يؤدون الفرائض ، عددهم قليل نسبيا ، هذا الى أن اللغـــة العبرية لم تبعث الا بعد ولادة الصهيونية · ويبدو أن التشريع الحديث والأحكام القضائية التى تستخدم كسوابق فى الدولة الصهيونية ، وكذلك الأدب السياسى للحركة الصهيونية منذ بدايتها ، تدل على أن طابعها العنصرى : ان مجرد العملية البيولوجية ، وهى أن تنحدر من أبوين يهوديين ، كافية فى حـــد ذاتها وفى نظر الصهيونيين لاعتبار الطفل شخصا « يهوديا » ·

ان تحقيق الذاتية الصهيونية بالانتســـاب الى عنصر تترتب عليه نتائج ثلاث : التفرقة الذاتية العنصرية ، الاستثناء العنصرى ، والتفوق العنصرى · وتشكل هـــذه المبادىء لب الايديولوجية الصهيونية ·

والدافع الأول للاســـتعمار الصهيونى هو أن تتابع « الأمة اليهودية » عملية « تحقيق قومى ذاتى » بمســـاعدة عملية اعادة تجميع لليهـــود فى أرض معينة ، واقامة دولة مستقلة فوق هـــذه الأرض · ومن ثم فان التفرقة الذاتيـة العنصرية هى جوهر الصهيونية ·

وتنفى التفرقة الذاتية العنصرية بطبيعتهـا الاندماج أو الاســـتيعاب · وابتـــداء من هرتزل حتى وايزمان ، ومن بن جوريون الى جولدمان ، اعتقد زعماء الصهيونية كلهم ودعوا جميعهم الى أن العدو الرئيسى للصهيونية ليس أبدا « العـداء للسامية » من قبـــل غير اليهود ، وانما هـــذا العدو هـو

« الاستيعاب » اليهودى • وهكذا تتفق « معاداة السامية » والصهيونية على القاعدة الأساسية التى يسلم بها كلاهما : يشكل جميع اليهود أمة واحدة ، لها قسمات قومية مشتركة ومصير قومى مشترك • والاختلاف بينهما هو أن « معاداة السامية » لا تأبه بما يسمى « القسمات القومية » لليهود ولا تسأم من ترديد الأهوال وأعمال التعذيب التى عاناها اليهود ، بينما تمجد الصهيونية هذه القسمات الوهمية ، وتحاول جهدها أن تجمع كل اليهود فى دولة يهودية واحدة ، يلقى عليها الصهيونيون المعتدلون أنفسهم « مهمة خاصة » يتعين عليها القيام بها •

وطبقا للعقيدة الصهيونية ، فان « الاستيعاب » هو ضياع « الشخصية اليهودية » ، وهو يشكل المرحلة الأولى التى تؤدى الى « تحلل » و « محو » « الأمة اليهودية » • وما « التفرقة الذاتية العنصرية » الا الرد الصهيونى على « الاستيعاب اليهودى » ، ذلك لأن الصهيونية ترى أن « التفرقة الذاتية العنصرية » هى الطريق الوحيد المؤدى الى « استرداد » و « خلاص » و « اتمام تكوين » الأمة •

وعلى ضوء هذا المنطق نفسه ، الذى ترفض الصهيونية بناءعليه ودون مساومات استيعاب اليهود بواسطة مجتمعات غير يهودية ، فان المبدأ الأساسى الصهيونى للتفرقة الذاتية العنصرية يتطلب أيضا نقاء العنصر والاستثناء العنصرى فى الأرض التى سوف تتحقق فوقها التفرقة الذاتية اليهودية • وعلى هذا ، لابد أن ترفض العقيدة الصهيونية للتفرقة الذاتية تعايش الطائفة اليهودية والطوائف غير اليهودية على أرض اعادة التجميع اليهودى • ان التعايش مع الطوائف غير

اليهودية ــ بما فى ذلك السكان الأصليين ــ فوق الأرض التى سوف يتجمع عليها اليهود يشكل لطخة تشين صورة العنصرية الصهيونية النقية ، تماثل الاقامة المتصلة لليهـــود فى أراضى غير اليهود ، تلك الأراضى التى أطلق عليهـــا اسم « المنفى اليهودى » •

ويتطلب المثل الأعلى الصهيونى للتفرقة الذاتية العنصرية ــ وهو مطلب لا مفر منه أيضا ــ رحيل جميـــع اليهود من الأراضى « المنفيين » اليها ، وكذلك نزع ملكية كل من هـــو غير يهـــودى من الأرض التى هى « مقصـــد اليهود » ، أى فلسطين • وهـــذان شرطان جوهريان من أجل « تحقيـــق الصهيونية وانجاز أهدافها » ومن أجل « إســتعادة الوطن » اليهودى •

وطبقا لتعاليم الصـــهيونية ، لا يمكن تحقيق « التفوق اليهودى » فى نهاية الأمر الا بتحقيق هذا الشرط : انجـــاز عملية التفرقة الذاتة • لأن « شعب الله المختار » لا يمكن أن يبلغ « مصيره الخاص » الا اذا تمت عملية تجمعه وحده •

* * *

ونلاحظ فيما يتعلق بهذا الموضوع وجـود اختلاف هام بين العنصرية الصهيونية والأشكال الأخرى المعروفة للعنصرية الأوربية ، منذ قيام الاستعمار الذى ابتليت به شعوب آسيا وأفريقيا • فلقد وجد الاستعماريون الأوربيون الراغبـون فى فرض تفوقهم العنصرى فى أمكنة أخرى من آسيا وافريقيـا ، من السهل عليهم أن يعبروا عن هذا « التفوق » على « شعوب مقهورة » أو « ســـلالات عرقية أدنى » فى اطار « التعـايش

التدرجى العنصرى » • ومهما كانت التفرقة وعدم المساواة ، فقد تعايش بصفة عامة المستوطنون الأوربيون و « الأهالى » فى نفس المستعمرة أو فى ذات المحمية • ولقد كان المستوطنون الأوربيون يرون ، على الرغم من احتقارهم السافر للأهالى ، وعلى الرغم من اضطهادهم لهم ، وعلى الرغم من تطبيق التفرقة العنصرية عليهم تطبيقا منهجيا ، ان الوجود المستمر للسكان الأصليين « مفيد » فى نهاية الأمر للمستوطنين أنفسهم • وهكذا كانوا يحتفظون (للأهالى » بجميع الوظائف المزرية ويعهدون اليهم بالأدوار الدنيا فى المجتمعات الاستعمارية • بيد أن الأمر ليس كذلك بالنسبة للصهيونية • ان الاستعماريين الصهيونيين الراغبين فى فرض تفوقهم العنصرى فى فلسطين يرون من الضرورى اتباع وسيلة أخرى أكثر توافقا مع نظامهم الايديولوجى • وهم يعبرون عن « تفوقهم » الوهمى على « الأهالى » العرب ، أولا : عن طريق الانعزال عن العرب فى فلسطين ، وثانيا : عن طريق ابعاد العرب عن وطنهم •

ولم يحدث فى أى مكان فى آسيا وأفريقيا ــ ولا حتى فى جنوب أفريقيا وروديسيا ــ مثلما حدث فى فلسطين بتأثير المذهب الصهيونى وبأساليبه القهرية ، فلقد جرت عملية فرض التفوق العنصرى الأوربى بحماسة فياضة ابتغاء قيام استثناء عنصرى شامل ، وبهدف طرد السكان « الأصليين » وراء حدود دولة المستوطنين • (وربما يمكن تفسير هذا الفارق بين الصهيونية وبين قواعد الاستعمار الأوربى ، بارجاعه الى التعلق الواعى بالنظريات العنصرية التى هى جزء لا يتجزأ من الايديولوجية الصهيونية ••• هذا التعلق الذى

مهد ودفع وأوحى ، ثم قاد فى كل مرحلة عملية الاستعمار الصهيونى لفلسطين ، على الأقل منذ بداية الحركة الصهيونية الجديدة عام ١٨٩٧) .

وعندما لم يكن فى استطاعة المستعمرين الصهيونيين أن يجلوا الأهالى العرب عن فلسطين (الأغلبية الساحقة من سكان فلسطين) اكتفوا بالانعزال عن المجتمع العربى وبمقاطعة الانتاج العربى والأيدى العاملة العربية مقاطعة منهجية . ونتيجة لذلك ، تم اقرار مبدأ ، منذ العهد الأول للاستعمار الصهيونى ، وبمقتضى هذا المبدأ لا يجوز استخدام أيدى عاملة فى المستعمرات الصهيونية سوى الأيدى العاملة اليهودية . وبيقظة حادة ، سهرت « الوكالة اليهودية » و « الصندوق القومى اليهودى » و « صندوق تأسيس فلسطين » و « اتحاد العمل اليهودى » على مراعاة هذا المبدأ الأساسى للاستعمار الصهيونى .

بيد أن قرار مقاطعة العرب فى فلسطين ، بدلا من أن يهدف الى ابعادهم عن وطنهم ، قنع بأن يكون مجرد تاكتيك ، بل ايقافا مؤقتا للعقيدة الصهيونية القائمة على أساس الاستثناء العنصرى ، ولقد كان هذا القرار مفروضا على الصهيونية نتيجة للظروف التى كانت محيطة بالمراحل الأولى للاستعمار الصهيونى . كان هذا القرار بمثابة شر لابد منه ، يجب تقبله ، طالما ان التطبيق الدقيق للنظريات العنصرية للصهيونية تعرقله عوامل أجنبية لا تستطيع الحركة الصهيونية أن تسيطر عليها فى تلك الآونة . ولكن هذا التقبل المؤقت لا يعنى أن الهدف النهائى ، ولا سيما اجلاء السكان العرب عن فلسطين ، حتى يستطاع تجسيد مبدأ

الاستثناء العنصرى ، قد عدل عنه بأى حال من الأحوال ، على الرغم من وضعه جانبا بصفة مؤقتة ٠

ومنذ عام ١٨٩٥ ، عمـــل هرتزل بنشــاط على نسج مؤامرة قائمة على أســـاس مخطط يرمى الى « ارغام السكان الذين لا مورد لهم على النزوح الى ما وراء حـــدود فلسطين ، نتيجة لحرمانهم من العمل »(١) ٠ ولقـــد توقع وايزمان عام ١٩١٩ خلق فلسطين « التى ســـوف تكون يهودية بقـــدر ما لانجلترا من الانجليزية »(٢) ٠ وشرح البرنامج الصهيونى ، بأن قال عنه أنه هو خلق « قومية ستكون لها من اليهـــودية ما للأمة الفرنســـية من الفرنسية وما للأمة الانجليزية من الانجليزية »(٣) ٠ وهكذا ، فان الهدف الصـــهيونى ، ولو أنه

---

(١) تيودور هيرتزل « اليوميات الكاملة » الجزء الأول ، بالانجليزية المطبوع عام ١٩٦٠ صفحة ٨٨ (الدخـــول فى ١٢ يونية ١٨٩٥ ، كما رواه ايرسكين ب٠ تشايلدارز : فلسطين — « المثلث المكسور » فى جريدة الشـــئون الدوليـــة ، الجزء التاسع عشر ، العدد الأول ، عام ١٩٦٥ ، صـــــفحة ٩٣ — بالانجليزية) ٠

(٢) تشام وايزمان فى كتابه بالانجليزية « المحاكمـــة والخطأ » ، المنشور فى نيويورك بواســـطة دار النشر هاربر واخوته ، ١٩٤٩ ، صفحة ٢٤٤ ٠

(٣) جاءت هذه العبارة فى الكتاب الصادر بالانجليزية ، عن المطبعة الحـــكومية فى القدس تحت عنوان « التـــاريخ السياسى لفلسطين تحت حكم الادارة البريطـــانية » ، عام ١٩٤٧ ، الصفحة الثالثة ، الفقرة ١٢ ٠

لم يتحقق الا عام ١٩٤٨ نتيجة للطرد القهرى العنيف للأغلبية الفلسطينية العربية من وطنها ، الا أنه ظل نصب عين الحركة الصهيونية منذ بدايتها ، تغذيه بعمليـــة مستمرة تتمثل فى تجريد فلسطين من عروبتها (حتى يمكن للصهيونية أن تحكم السيطرة عليها) •

وبصفة جوهرية ، يحوى المضمون الصهيونى « للحـل النهائى » « للمشكلة العربية » فى فلسطين والمضمون النازى « للحل النهائى » « للمشكلة اليهودية » فى ألمانيا نفس العنصر الأساسى : محو العنصر البشرى غير المرغوب فيه • ولكن اذا كانت النازية قد تابعت عملية خلق « ألمانيا المبرأة من اليهود » بمناهج أشد عسفا وأكثر وحشية من المناهج التى اتبعتهـــا الصهيونية لخلق « فلســطين المجردة من العرب » ، فان وراء هذين الأسلوبين المختلفين مقاصد متماثلة •

* * *

اذا كانت التفرقة العنصرية الموجهة الى « الأهالى الذين هم من عنصر أدنى » هى شعار أنظمة الحكم للاســـتعماريين الأوربيـــين الراغبـــين فى فرض تفـــوقهم العنصرى فى آسيا وافريقيا ، فان شعار نظام حكم المستوطنين الصهاينة ، الراغبين فى فرض تفوقهم العنصرى فى فلسطين هو المحـــو العنصرى • وهكذا عامل الصهيونيون البقية الباقية من العرب الفلسطينيين ، الذين أصروا على البقاء فى وطنهم على الرغم من جميع الجهود التى بذلت لتجـــريدهم مما يملكونه وطردهم ، متحدين العقيدة الصهيونية القـــائمة على أساس الاســـتثناء العنصرى ••• عاملوهم معاملة تســودها التفرقة العنصرية •

وبموقفهم تجاه هؤلاء السكان العرب الذين ظلوا فى فلسطين ، كشف المستعمرون الصهيونيون اللئام عن مسلك التفوق العنصرى ، ومارسوا قواعد التمييز العنصرى ، التى ذاع صيتها فى آسيا وافريقيا نتيجة لممارسة الاستعماريين الأوربيين العنصريين الآخرين لها .

وفى الواقع ، فان دولة المستعمرين الصهيونيين ، بتطبيقها التمييز العنصرى على البقية الباقية من العرب الفلسطينيين ، قد تعلمت جميع الدروس التى يمكن أن تلقنها لها مختلف أنظمة الحكم العنصرية فى الدول التى بها مستوطنين بيض فى آسيا وافريقيا . ولقد دلت الدولة الصهيونية فيما يتعلق بهذه المهمة أنها تلميذ نجيب متحمس قادر على أن يتفوق على أساتذته . ويكفى للتدليل على ذلك أن نشير الى أن رواد التمييز العنصرى وهم المستوطنين البيض فى جنوب أفريقيا يعترفون دون حياء بجريمتهم ، أما الممارسون الصهيونيون للتفرقة العنصرية فى فلسطين ، فهم يعلنون كذبا أنهم أبرياء من جريمة التمييز العنصرى !

* * *

ان البقية الباقية من العرب الفلسطينيين ، الذين لا زالوا يعيشون داخل الدولة الصهيونية منذ عام ١٩٤٨ ، لهم نفس معسكرات التجميع التى يعيش فيها السود فى جنوب أفريقيا (البانتو) ، لهم « اجراءات التحفظ التى تطبق على السكان الأصليين » ، ولهم أحياءهم الخاصة بهم والتى تشبه الجيتو (أحياء اليهود فى ظل اضطهاد المسيحية الأوربية لهم) ، هذا على الرغم من أن السلطات الصهيونية تخلع

متلطفة على الأوضاع القانونية التى فرضتها على العرب ،والتى ينتقض عليها العرب يوميا ، لفظا مخففا فتقول عنها « منطقة الأمن » ٠

ان حوالى ٩٠٪ من العرب الخاضعين لسيادة اسرائيل يعيشون فى ظل « مناطق الأمن » هذه ٠

وفى دولة المستعمرين الصهيونيين ، فهم هؤلاء العرب وحدهم الذين يعيشون تحت وطأة الأحكام العرفية ٠ وهكذا يتولى الوظائف الادارية ، فى « مناطق الأمن » التى يسكنها العرب ، ضباط عسكريون تابعون لوزارة الدفاع ، بينما بقية البلد تحكم بادارة مدنية ٠ ويحاكم العرب الذين يرتكبون جرائم طبقا للقانون العسكرى المطبق فى « مناطق الأمن » (« اجراءات الطوارىء » ويسمونها « الدفاع ») ، ويساقون كى يستجوبوا أمام محاكم عسكرية ، لا يمكن استئناف الأحكام التى تصدرها ٠ ولقد أصبح من الأمور العادية فى هذه المناطق أن يصدر الحاكم العسكرى أمرا بالنفى أو بتحديد الاقامة ٠

وفى الدولة الصهيونية ، يخضع السكان العرب وحدهم فى « مناطق الأمن » لنظام تصاريح المرور ، الذى يقيده الى أقصى حد حرية الانتقال والتحرك ٠

وفى الدولة الصهيونية ، يحرم العرب وحدهم من الحقوق الأساسية للتعبير ، والاجتماع ، وتكوين الجمعيات ٠ ويحرم عليهم اصدار الجرائد أو تكوين المنظمات السياسية ٠

ولا تكاد توجد امكانيات بالنسبة للعرب كى يواصلوا

تعليمهم ، وكلمـــا كانت المرحلة التعليمية أعلى كلمـا ضاقت امكانيات مواصلة التعليم فيها بالنسبة للعرب • ومن الصعب علينا أن نعقد مقارنة بين قيمة التعليم الذى يتاح للعرب فى حدود معينة أن يحصلوا عليه وبين قيمة النظـــام التعليمى المفتوحة أبوابه دون قيود لليهود •

ومن الوجهــة الاقتصادية ، يعـــانى العرب فى الدولة الصــهيونية وطأة عبء ثلاثى : تقييد حقهم فى تولى مختلف الوظائف ، مما أدى الى بطالة واسعة النطاق ، وثانيـــا : فان الوظائف التى يسمح لهم بتوليها هى بصـــفة عامة الوظائف المتهنة المزرية ، وثالثا : فان حق الحصول على « أجر مساو بالنسبة لنفس العمل » حق محروم عليهم أن يتمتعوا به •

وبمقتضى سلسلة من القوانين الصارمة أصدرتها الدولة بين عام ١٩٤٨ وعام ١٩٥٣ ، تحرم على ملاك الأراضى الزراعية التى لحقتهم أضرار نتيجة للاجراءات الحكومية أن يطـــالبوا بتعويضهم عما أصابهم أمام المحـــاكم ، صودرت الأراضى الزراعية التى يملكهـــا السكان العرب بمجرد تنفيذ أوامر ادارية • ولقد تم بمقتضى هذه الاجراءات الادارية نزع ملكيات قرى عربية بأسرها ، وأعطيت هذه القرى لليهود كى يقيمـوا عليها منشاءاتهم الصهيونية •

ومن الوجهة العملية ، لا يوجـــد أى اشتراك عربى فى ادارة الدولة الصهيونية ، اذا أدخلنا فى اعتبارنا نوع الاشتراك وأهميته ، بينما لا يوجد اشتراك عربى على الاطلاق وعلى أى مستوى فى معظم المصالح الحكومية • بل يصل الأمر الى حد

أنه لا يوجد عربي واحد مستخدم فى المكتب الحكومى الخاص بالشئون العربية !

وأخيرا ، لا يستطيع العرب أن يتمتعوا بحقهم الأولى فى المواطنة فى بلدهم ، لأن هذا الحق مقيد بتمييز عنصرى قانونى . فبينما اليهودى يصبح ، بمقتضى قانون الجنسية ، مواطنا فور وصوله الى اسرائيل ، يخضع الأهالى العرب فى الدولة الصهيونية الى نظام خاص كى يحصلوا على الجنسية الاسرائيلية ، ومن ثم يظل عرب اسرائيل يعانون الأمرين نتيجة لعدم وجود جنسية لهم .

٢ ـ العنف والارهاب

لقد وجه الالتجاء المعتاد للقوة بصفة رئيسية الى العرب. وجهته اليهم الأجهزة العسكرية وشبه العسكرية فى دولة المستعمرين الصهيونيين . ان وجود العرب فوق الأرض التى يسيل لها لعاب الصهيونيين يشكل أوتوماتيكيا الهدف الأول والأخير للعداوة الصهيونية . بيد أن هذا الاتجاه الى العنف لم يقتصر على علاقات الصهيونيين بالعرب وحدهم . ففى نهاية الانتداب الانجليزى ـ عندما بدأ يشعر التحالف الذى كان قائما بين الامبريالية البريطانية والاستعمار الصهيونى ، وقد أدى الغرض من قيامه ، ببوادر التوتر الذى انتهى أخيرا الى انفصامه ـ تحولت المنظمات شبه العسكرية والارهابية الصهيونية (التى ساعدتها وأغمضت بريطانيا العين عنها خلال أحقاب كثيرة) الى الحامية البريطانية والسلطات المدنية البريطانية فى فلسطين . كما تحولت الأعمال العنيفة الصهيونية ضد الشخصيات الدولية بعد بداية الأعمال

العسكرية بين العرب والصهيونيين فى فلسطين بوقت قصير ووصول وسطاء منظمة الأمم المتحدة ومراقبى الهدنة • وان مقتل الوسيط الأول لمنظمة الأمم المتحدة وياوره ، والقاء القبض على مراقبى منظمة الأمم المتحدة تدل على أنه لا حصانة لكل من يعترض طريق الصهيونية ، ولا منجاة له من الثأر الصهيونى كائنا من كان هو ، ومهما كانت شخصيته •

بيد أنه من الواضح أن العنف الصهيونى ضد العرب كان — ولا يزال — أطول امدا وأكثر منهجية وأشد قسوة من جميع أنواع العنف الصهيونى التى وجهت ضد الآخرين من غير العرب •

ولقد لجأت دولة المستعمرين الصهيونيين ، قبل ولادتها وبعد ولادتها ، الى العنف ، كوسيلة اختارتها لبعث الخور فى نفوس عرب فلسطين واجبارهم على مغادرة وطنهم • وما المذابح التى ارتكبتها فى دير ياسين وعين الزيتون وصلاح الدين (فى ابريل ١٩٤٨) الا اجراءات متعمدة طبقا لبرنامج رسمى هدفه اجبار العرب على ترك فلسطين خوفا من الارهاب •

وتوجه الدولة الصهيونية عنفها ، منذ قيامها ، فى الداخل والخارج : ضد العرب الواقعين تحت سيادتها ، وضد الدول العربية المجاورة •

ولقد تعرضت مدن وقرى عربية فى أرض فلسطين التى يحتلها الصهيونيون لمذابح وأعمال شائنة أخرى ، مثل ماحدث لايجريت (ديسمبر ١٩٥١) والطراح (يوليو ١٩٥٣) وأبو غوش (سبتمبر ١٩٥٣) وكفر قاسم (أكتوبر ١٩٥٦)

وأكر (يونية ١٩٦٥) حيث جرت مذابح وأعمال نهب وسلب لا مثيل لها فى بشاعتها ، كما أنها لا ضريب لها على اعتبار انها الحالات الوحيدة التى تجرؤ فيها دولة على أن تجعل من برنامج الكراهية العنصرية سياسة تقدم الحكومة على تنفيذها مستخدمة فى ذلك جهازها الرسمى .

وجدير بنا أن نضيف الى ما سبق المذابح التى ارتكبت على نطاق واسع ضد السكان العرب فى غزة وفى خان يونس خلال الفترة القصيرة - الزاخرة بالأحداث رغم ذلك - من الاحتلال الصهيونى للمنطقة ، فى اطار الغزو الثلاثى الذى تعرضت له مصر عام ١٩٥٦ .

وربما تكون الاعتداءات العسكرية التى تتم على أراضى الدول العربية المجاورة ، والتى تنفذ طبقا لخطة موضوعة ، من أكثر المظاهر التى يعرفها الجميع ، والتى تدل على مسارعة اسرائيل الى اللجوء للعنف ، وذلك لأن عددا كبيرا من هذه الاعتداءات درس ونوقش بعمق فى مجلس الأمن التابع لمنظمة الأمم المتحدة . والى جانب الحرب ذات المدى الواسع التى شنت على مصر عام ١٩٥٦ ، بالتواطؤ بين الاستعمار الصهيونى والامبريالية البريطانية والامبريالية الفرنسية ، والتى نددت بها الجمعية العامة فى ستة قرارات ، تم التصديق عليها فى الفترة الواقعة بين ٢ نوفمبر ١٩٥٦ و ٢ فبراير ١٩٥٧ ، كانت هناك اعتداءات أقل شأنا على حماه (ابريل ١٩٥١) وكيبيا (أكتوبر ١٩٥٣) وغزة (فبراير ١٩٥٥) وحول بحيرة طبرية (ديسمبر ١٩٥٥ ومارس ١٩٦٢) . اعتداءات أدانها مجلس الأمن على التوالى فى ١٨ مايو ١٩٥١ ، و٢٤ نوفمبر

١٩٥٣ ، و٢٩ مارس ١٩٥٥ ، و١٩ يناير ١٩٥٦ ، و٩ ابريل ١٩٦٢ • كما أن هناك اعتداءات أخرى ، لا يمكن ذكرها كل منها على حدة لكثرتها ، ولقد أدانت اللجان المختلفة المختصة للهدنة هذه الاعتداءات جميعها •

٣ ـ التوسع الاقليمى

لا يستطيع أحد أن يدرس خط سير الحركة الصهيونية وأسلوب عمل دولة المستعمرين الصهيونيين دون أن يلاحظ أنه اذا حدث فى لحظة معينة أن عجزت الانجازات الصهيونية عن بلوغ الهدف المعين والذى ترمى الى بلوغه باستمرار الحركة الصهيونية ، فما ذلك الا لأنها مراحل مؤقتة وليست نقطا نهائية فى المسيرة الصهيونية صوب التحقيق الذاتى النهائى الكامل لأهدافها جميعا ، على الرغم من التأكيدات العلنية التى يطلقها الزعماء الصهيونيين والاسرائيليون على النقيض من ذلك•

فمع أن زعماء الصهيونية الرسميين كانوا ينكرون مثلا، وبصورة مستمرة علنية من عام ١٨٩٧ حتى عام ١٩٤٢ أية نية فى الحصول على « وضع قومى » ، مبرزين أنهم لا يريدون سوى « مأوى » ، تدل الوثائق الداخلية للحركة ومذكرات زعمائها بشكل واضح ، وعلى الرغم من الانكارات العلنية ، أن هدف الصهيونية كان باستمرار ودون أن يطرأ عليه أى تعديل الوصول الى وضع قومى (ان الهدف باقامة دولة صهيونية ، الذى اعترف به بشكل سافر ولأول مرة عام ١٩٤٢ ، أمكن بلوغه بعد ذلك بستة أعوام) •

وبنفس الطريقة ، وحتى عام ١٩٤٨ ، ظل زعماء الصهيونية يؤكدون باستمرار للعالم أجمع أن ليست لديهم

أية نية لتجريد عرب فلســـطين من أملاكهم أو طردهم من وطنهم ، بيد أن هناك سيلا متدفقا من الدلائل يقطع بأن هؤلاء الزعماء كانوا يهـــدفون منذ أول الأمر الى صبغ فلســطين بالصبغة الصهيونية تماما والى تجريدها نهائيا من عروبتها ، وعندما حانت اللحظة السانحة فى عام ١٩٤٨ ، لم يضـــيع الصهيونيون وقتهم ، فطردوا العرب الى ما وراء الحدود •

وفيما يتعلق بهاتين المسألتين الحيويتين ، فان كـل من درس الحركة عن كثب ، وجميــــع المراقبين القريبين منها يعرفون جيدا الأهداف الحقيقية للصــهيونية • والواقع أن الخدعة الصهيونية القائمة على أساس انكار علنى لم تكن سوى ستار من الدخان يهدف الى حجب الأهـــداف الحقيقية التى لا تتغير ، حتى يمكن اكتساب الوقت ، وبذلك يتم تمهيـــــد الأرض للعمل المراد القيام به فى اللحظة المرجوة •

ان التوسع الاقليمى يشـــكل العنصر الثالث للمخطط الصهيونى • وفى هذا المجال أيضا ، استخدمت الصــهيونية خدعتها المضللة ، وهى الانكار العلنى ، حتى يمكنها اخفـــاء نواياها الحقيقية • ولا يختلف هذا العنصر الثالث عن العنصرين السابقين (وهما تحقيق الوطن القومى وطرد العرب) الا فى هذه النقطة : بينما هذان الهدفان قد تحققا وانتزع القناع فى نهاية الأمر ، فان الهدف الثالث (وهــو التوسع الاقليمى) يظل متحققا جزئيا ويظل الحجاب مرفوعا جزئيا •

لقد كان الهدف المستمر الملح للصهيونية ــ ولا زال ــ **بناء دولة فى فلسطين كلهـا** (يسميها الصهيونيون « ايريتز اسرائيل » أو أرض اسرائيل) **خالية تمـــاما من العرب** •

والتحديد الأدنى للمساحة الأرضية لفلسطين ، كما تتصورها الصهيونية ، تم التصريح عنه رسميا فى عام ١٩١٩ • انهـــا تغطى زهاء ضعف المساحة الحالية التى تحتلها دولة المستعمرين الصهيونيين • وتتضمن ـ طبقا للتعبير الجغرافى الحــالى ـ مملكة الأردن (على شاطئى نهر الأردن) و « أرض غزة » ، والجزء السفلى من لبنان ، والجزء الجنوبى والجنوبى الغربى من سوريا ، هذا الى الأجزاء الحالية من فلسطين التى يحتلهــا الصهيونيون • ومع ذلك ، فان هذه المساحة لا تزال أقل من المساحة الأرضية ، التى حددت طبقا لعبارة التوراة الشهيرة من النيل الى الفرات ، وهى الأرض التى يطالب باستردادها الصهيونيون « المتطرفون » على اعتبار انها ارثهم القومى • فهل ياترى قد قنعوا الآن بالمضمون الصهيونى فى المساحة الأدنى، متخذين من فلسطين قاعـــــدة حقيقية للمخطط الصهيونى ، تاركين الباب مفتوحا على مصراعيه لتوسع اقليمى صـــهيونى مقبل ؟ ذلك لأن سيطرة المستعمرين الصــهيونيين تغطى فى الوقت الحالى نصف هذه المساحة الأدنى التى يسيل لهــــا اللعاب • (انظر الخريطتين المرفقتين) •

* * *

وأثبتت دولة المستعمرين الصهيونيين مرتين منذ انشائها أنها فيما يتعلق بالمساحة الأرضية تتبع نفس أسلوب العمل ، الذى اتبعته بنجاح خلال الأعوام الخمسين السابقة الحركة الصهيونية من أجل بناء الدولة وطرد العرب :

١ ـ أولا ، فى عام ١٩٤٨ وبداية عام ١٩٤٩ ، كانت الدولة الصهيونية تحتل مناطق لم تخصص « للدولة اليهودية »

كما حددت ذلك توصية الجمعية العامة بشأن تقسيم فلسطين ، وأكدت المنظمة الصهيونية بعد ذلك ببضعة شهور أمام الجمعية العامة أنها قانعة بالأراضى التى « تركت » « للدولة اليهودية » المشار اليها ٠

٢ ـ وبعد ذلك ، حوالى نهاية أكتوبر وبداية نوفمبر ١٩٥٦ ، انتهز الشريك الصهيونى فى مؤامرة العدوان الثلاثية فرصة انهماك الجيش المصرى فى الدفاع عن مصر ضد قوى الغزو البريطانى الفرنسى ، فغزا هو الآخر « أرض غزة » وبضعة أجزاء من شبه جزيرة سيناء ٠ ثم رفضت الدولة الصهيونية الطلبات المتكررة ، التى وجهتها اليها خلال أربعة شهور منظمة الأمم المتحدة بالانسحاب الفورى ، متعللة بأن الأراضى الفلسطينية والمصرية التى ضمت اليها جزءا من « الوطن التاريخى » و « الارث القومى » الصهيونيين ٠

لقد دلت دولة المستعمرين الصهيونيين ، لا بأفعال شائنة فحسب ، وانما بتصريحات مشئومة أيضا ، على نيتها فى الاستحواذ فى اللحظة السانحة على أراضى جديدة تمتد داخل حدود ما تزعم هى أنه يمثل وطنها القومى ٠ ولقد أعلن رسميا دافيد بن جوريون ، رئيس وزراء الدولة الصهيونية المخضرم ، فى مناسبتين على الأقل ، وفى وثيقتين حكوميتين رسميتين أن الدولة خلقت فى « جزء من بلدنا الصغير » (١) ،

---

(١) دولة اسرائيل ، الكتاب السنوى للحكومة ، ٥٧١٢ (١٩٥١ ـ ١٩٥٢) المقدمة ، صفحة ١ (بالانجليزية)

وفى « جزء من أرض اسرائيل » (١) • ولقـــد أعلنت الدولة نفسها أن « خلق الدولة الجديدة لا يلحق بأى حال من الأحوال افتياتا بالأمل الذى نرنو اليه متمثــلا فى (الأريتز) الأرض الاسرائيلية التاريخية » (٢) •

* * *

ونظرا لخط السير المستمر للحركة الصهيونية ، ونظرا أيضـــا للمفهـوم التقليدى الصهيونى للمســاحة « للأرض الاسرائيلية » ، الذى تتضمن الرواية « المعتدلة » بشـــأنه نفسها مساحة تبلغ ضعف المساحة الحالية التى اغتصبتهـــا الدولة الصهيونية ، ونظرا للتحذيرات الواضحة التى رددها أكثر زعماء الصهيونية صراحة وأشدهم نفوذا فيما يتعلق بأن الدولة الصهيونية لم تتخل عن قرارها بالاستيلاء عـلى أراض عربية جديدة • نظرا لكل ما سبق ، يصبح من الهذيان أن نفعل مثلما تفعل النعامة ، وأن نظن أن الصهيونية ســـوف تقنع بما حصلت عليه ولن تتملك سوى جانبا من الأرض التى تزعم أنها « ارثها القومى » ، والتى عقدت النية على احتلالهـا مهما كان الثمن •

ومن بين العناصر الجوهرية الثلاثة للبرنامج الصهيونى:

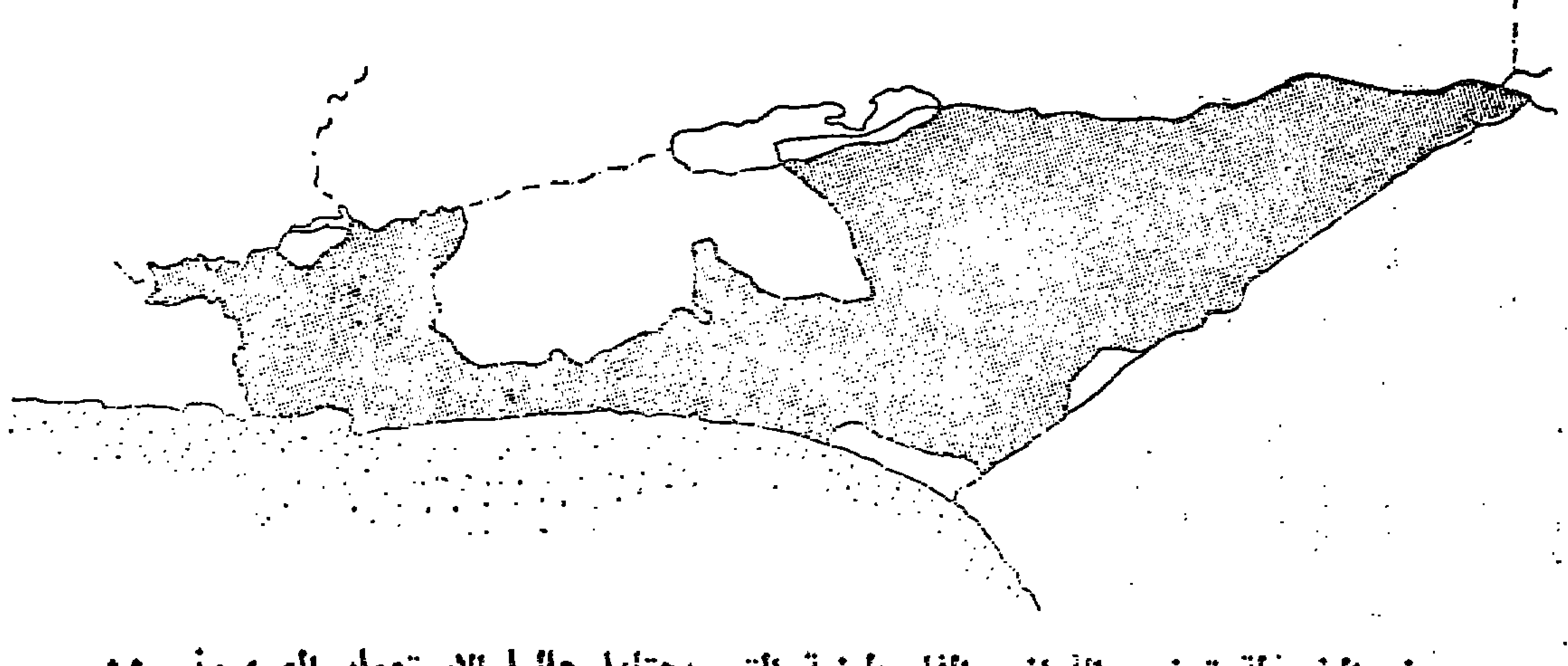
---

(١) دولة اسرائيل ، الكتاب السنوى للحكومة ، ٥٧١٣ (١٩٥٢) المقدمة ، صفحة ١٥ (بالانجليزية)

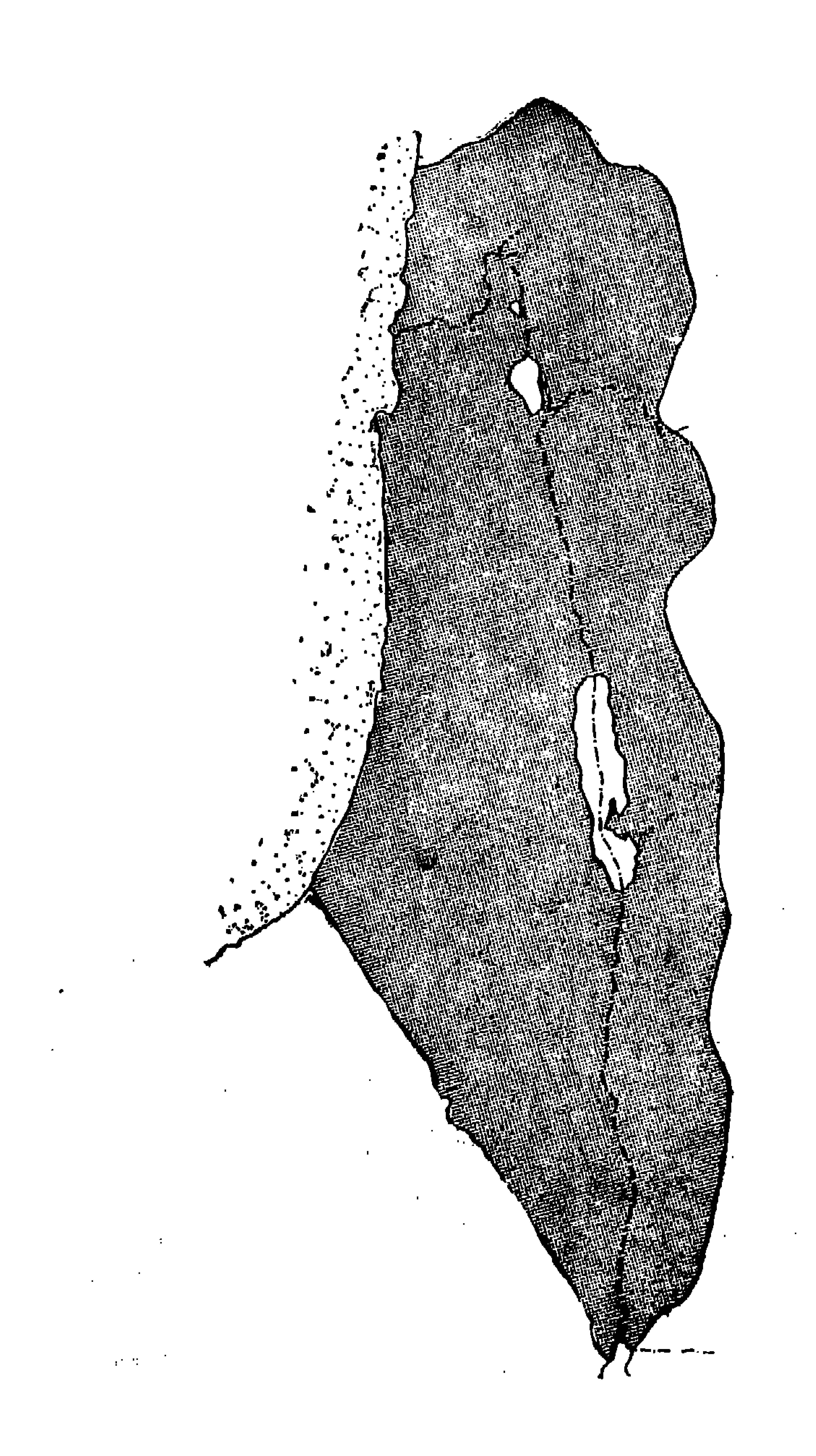
(٢) دولة اسرائيل ، الكتاب السنوى للحكومة ، ٥٧١٦ (١٩٥٥) ، صفحة ٣٢٠ (بالانجليزية) •

التفرقة الذاتية العنصرية فى الدولة الصهيونية ، والاستثناء العنصرى وطرد العرب ، واحتلال جميع ما يسمى بـ « ايريتز » أرض اسرائيل ، فان العنصر الثالث وحده هو الذى لم يزل غير متحقق • وهذا هو « العمل الذى لم يتم » للصهيونية • غير ان ذلك العنصر لن يلبث حتى يصبح الشغل الشاغل فى المستقبل للحركة الصهيونية وللدولة الصهيونية •

والواقع ، أن وجود دولة المستعمرين الصهيونيين لايعنى بالنسبة اليهم سوى الاعداد والنضال من أجل التوسع الاقليمى •



هذه الخريطة توضح الأراضى الفلسطينية التى يحتلها حاليا الاستعمار الصهيونى ••
وبمقارنتها بالخريطة فى الصفحة المقابلة يتضح مدى الأهداف التوسعية التى يسعى
الى تحقيقها حكام هذه الدولة المصطنعة بمساعدة الامبريالية العالمية وخاصة مساندة
الولايات المتحدة الامريكية ••



رد فعل الفلسطينيين

من المقاومة الى التحرير

أمام التهديد الصهيونى ، كان هناك رد رفعـل لشعب فلسطين مر بخمس مراحل :

١ ـ أولا : عندما أخذ الصهيونيون يدخلون فى أعـداد قليلة نسبيا مبرزين الدوافع الدينية والانسـانية لمشروعهم ، مخفين الطابع السياسى والايديولوجى والعنصرى والاستعمارى لحركتهم ـ ظن عرب فلســطين أن الوافدين ما هم الا مجرد « حجاج » يحفزهم شعور دينى عارم من أجل الأرض المقدسة ، وخيل اليهم أنهم « لاجئــون » هربوا من الاضـطهاد الذى اصطلوا بنــاره فى أوربا الشرقية يبحثــون عن مأوى فى فلسطين • ومن ثم رحب العرب الفلسطينيون ترحيبـا حارا بالوافدين ؛ ولقد لاحظ هرتزل نفســه « شعور السـكان الودى » (١) تجاه الموجة الأولى من المستوطنين الصهاينة •

---

(١) « مؤتمر بال » برلين سنة ١٩٢٠ ص ١٦٤ وقد ذكر فى كتاب رابينوفيتش ، أوسكار وعنوانه : « خمس سنوات من الصهيونية » المطبوع فى لندن ، روبير آنسكومب وشركاه، سنة ١٩٥٠ ، ص ٣١ •

٢ ـ وعندما بدأت تتدفق موجة الاستعمار الصهيونى الثانية على شواطىء فلسطين وذلك بعد بدء الحركة الصهيونية الجديدة سنة ١٨٩٧ (وعلى وجه التحديد ابتداء من ١٩٠٧ ـ ١٩٠٨) بدأت تنتاب العرب مشاعر الريبة والشك • فقد أثارت عمليات طرد المزارعين والعمال والحراس العرب من المستعمرات الصهيونية الجديدة ومقاطعة الانتاج العربى غضب العرب • ومع ذلك فقد ظلت المطامع والأهداف السياسية والقومية للمخطط الصهيونى محجوبة عن أنظار العرب ، بل ان ما أثار غيظ العرب هو ذلك النفوذ المباشر للوجود الصهيونى الذى أثر على العرب تأثيرا مباشرا بما كان يتوم من أعمال صهيونية محضة ومن تفوق عنصرى • ومع ذلك فنظرا لأن الاستعمار الصهيونى كان لا يزال يكتفى بمزاولة أعماله على نطاق ضئيل ومتواضع فقد ظل العداء الذى كان يثيره ينتشر على مستوى محلى الى حد ما •

* * *

٣ ـ وقد كان من شأن التحالف بين الامبريالية البريطانية والاستعمار الصهيونى الذى تأكد باعلان بلفور الصادر فى الثانى من نوفمبر سنة ١٩١٧ ثم باستيلاء الانجليز على القدس فى التاسع من ديسمبر سنة ١٩١٧ أن تفتحت أخيرا عيون العرب على حقيقة ما كان يجرى • وقد أيقنوا أنه اذا ما ترك للصهيونية حرية التصرف لكانت عملية طرد الأهالى من مساكنهم وأراضيهم هى أهون الأضرار التى يمكن أن ينتظروا وقوعها • وقد تبين للجماهير الفلسطينية بغريزتها بأن الأحداث التى كانت تدور حينئذ هى نذير سوء • وقد ظلت فلسطين خلال ثلاثين عاما مسرحا لمقاومة عربية دائبة

ومستمرة ضد التحالف الانجليزى ـ الصهيونى • وقد كانت أشد فترة من فترات المقاومة هى التى امتدت من سنة ١٩١٧ الى سنة ١٩٤٨ •

ومع ذلك لقد هدأت بشكل مؤقت التأكيدات البريطانية التى صدرت سنة ١٩١٨ من حالة القلق والفزع التى نشأت اثر صدور تصريح بلفور • وقد أكدت الحكومة البريطانية للعرب فى اعلان رسمى لها صدر يوم ١٦ يونيو سنة ١٩١٨ بأنه بالنسبة للأراضى التى احتلتها الجيوش المتحالفة « يجب أن تقوم الحكومة المستقبلة التى تتولى الحكم فيهـا على مبدأ رضى وموافقة الأهالى الواقعين تحت هذا الحكم وأن هذه هى السياسة التى ستنهجها حكومة صاحب الجلالة بصفة دائمة » (١) • ثم صدر تصريح فرنسى ـ انجليزى قبل الهدنة بأربعة أيام فقط (أى على وجه التحديد فى اليوم السابع من نوفمبر سنة ١٩١٨) وعمل على نشره على نطاق واسع وهو يعلن للعرب فى سوريا والعراق وفلسطين بأن الحليفتين قد عقدتا النية على : « تشجيع ومعاونة اقامة حكومات وطنية من أهالى البلاد أنفسهم » وعلى « الاعتراف بهذه الحكومات بمجرد اقامتها بشكل فعلى » (٢) وقد انكشفت بسرعة ما تتضمنه هذه التصريحات من غش وخداع كان من شأنهما فى ذلك الحين أن يهدئا من روع ومخاوف شعب فلسطين •

---

(١) نص من كتاب : أنطونيوس ، جورج «نهضة العرب» بيروت ، خياط ، ١٩٥٥ ، صفحتى ٤٣٣ و ٤٣٤

(٢) نفس الكتاب صفحتى ٤٣٥ و ٤٣٦

وفى بداية سنة ١٩١٩ كانت جميع الأنظار تتجه نحو باريس ، وكانت الآمال معقودة على مؤتمر السلام لكى يحل المتناقضات التى تضمنتها وعود الحلفاء أثناء الحرب ويفتتح عهدا جديدا طالما كان تاريخ العالم يتوق اليه بحيث يكون هذا العهد قائما على مبدأ تقرير المصير القومى كما عبر عنه بشكل مظهرى الرئيس ويلسون • الا أن الآمال قد خابت واستمر تدفق المستعمرين الصهيونيين — وكانت حركة التدفق قد هدأت حدتها أثناء الحرب — وتحركت من جديد مخاوف العرب بل ان المقاومة العربية قد اشتدت وكان عليها أن تواجه خطرا مزدوجا : طول فترة الاحتلال البريطانى من ناحية ثم انتشار عملية الاستعمار الصهيونى من ناحية أخرى •

* * *

وقد عبرت للمرة الأولى الارادة العامة لشعب فلسطين عن المعارضة العربية الفلسطينية ضد ذلك التحالف الانجليزى — الصهيونى بما قامت به من نشاط دبلوماسى لوفود تمثلها وبما أصدرته من تصريحات جماعية •

وقد تبين للجنة الامريكية كينج — كرين المشاعر الحقيقية لشعب فلسطين • وقد أوضحت ذلك فى تقريرها الصادر فى ٢٩ أغسطس سنة ١٩١٩ والذى يقول : « ان الشعب غير اليهودى فى فلسطين — وهو يمثل تسعة أعشار مجموع السكان — يعارض بشكل قاطع كل مخطط صهيونى •• ان شعب فلسطين لا يوافق بتاتا على أية نقطة أخرى بنفس الشدة التى لا يوافق فيها على هذا المخطط » (١) •

---

(١) نفس الكتاب السابق ذكره ص ٤٤٩

وقد تأيد الحكم الذى أصدرته هـــذه اللجنة بالقرارات التى أصدرها المؤتمر السورى العام والذى كان يضم ممثلين عن شعوب فلسطين ولبنان وسوريا • فقد اتخذ هذا المؤتمر فى الثانى من يولية سنة ١٩١٩ قرارا اجمـــاعيا يعلن فيـه ما يأتى :

« نعارض أى مزاعم صهيونية تهدف الى خلق كومنولث يهودى فى الجزء الجنوبى من سوريا أى فى فلسطين • كمـــا اننا نعارض عملية التهجير الصــهيونية فى أى جزء من بلادنا لأننا لا نعترف لهم بهذا الحق ونعتبرهم خطرا شديدا يهـدد شعبنا على الصعيد القومى والاقتصادى والسياسى • وسيتمتع مواطنونا اليهـــود بنفس شريعتنا العامة ويتحملون معنـــا المسئوليات المشتركة » (١) •

وقد أصدرت جميـــع الاجتماعات والتجمعات العربيـة الفلسطينية التى عقدت خـــلال سنوات الاحتلال البريطـانى لفلسطين تصريحات مشابهة ترفض الصهيونية رفضـا باتا • ولم تعبر مجموعة واحدة عربية فلسطينية ولا مؤتمر واحـــد عربى فلسطينى مرة واحدة عن قبول الاستعمار الصـــهيونى أكان بشكل جزئى أم بشكل مقيد •

أما هذه المشاعر التى عبر عنها الفلسطينيون بدون أى لبس أمام لجنة كينج ـ كرين فى سنة ١٩١٩ فقد عبرت عنها أيضا وبنفس القوة والاصرار كل لجنة فلسطينية أتيح لها أن

---

(١) نفس الكتاب السابق ذكره ص ٤٤١

تمثل أمام حكومة الانتداب وأمام لجانه العديدة ثم أمام عصبة الأمم وأمام منظمة الأمم المتحدة ٠

* * *

ولم تكن هذه الاحتجاجات مهمـــا بلغت من شدتهـــا باعتبارها تعبيرا عن الارادة القـــومية هي وسائل المقـــاومة الوحيدة التى لجأ اليها العرب الفلسطينيين ٠

ففى شهر مارس سنة ١٩٢٠ اندلعت الحرب المسلحة فى شمال فلســـطين بين القرويين العـــرب وبين المســـتعمرين الصهيونيين ، وفى اشهر ابريل سنة ١٩٢٠ دار الكفاح بين العرب والصهيونيين فى مدينة القدس نفســـها ٠ وقد تبعت هذه المعارك تلك الفتن التى قامت سنة ١٩٢١ و١٩٢٩ و١٩٣٣ وحركة التمرد التى ســـادت البلاد فى ســـنة ١٩٣٦ والتى اندلعت ثانية ســـنة ١٩٣٧ واستمرت حتى بداية الحـــرب العالمية الثانية فى سنة ١٩٣٩ ٠ أما منذ شهر ديسمبر سنة ١٩٤٧ حتى انسحاب بريطانيا واعلان مولد دولة المستعمرين الصهيونيين فى مايو ســـنة ١٩٤٨ فقـــد خاض العـــرب الفلسطينيين معركة حيـــاة أو موت وذلك ضد الحـــامية البريطانية وفى نفس الوقت ضد المستعمرين الصهيونيين ٠

لقد رفض الفلسطينيون العرب بكل اصرار الاســـتعمار الصهيونى كما أنهم بذلوا الكثير من التضحيات الشخصية من أجل الدفاع عن حرمة وطنهم وامتد هـذا الدفاع المرير طيلة ثلاثين عاما ٠ وقد أثبت بكل وضـــوح جميع الفلســـطينيين بجميع طبقاتهم الاجتماعية ـ بالقول وبالفعل ـ بالتصريحـات التى أصـــدروها وبالدماء التى بذلوها رخيصة ـ اخـلاصهم

لحقوقهم القومية ومعارضتهم بدون أى تحفظ لعملية الصهينة التى كانت تجرى فى بلادهم وعلى أرضهم ٠

* * *

أما بالنسبة للوســـــائل التى استخدمها الفلسطينيون للتعبير عن معارضتهم للتحالف القائم بين الاستعمار الصهيونى والامبريالية البريطانية فى الفترة الممتدة من سنة ١٩١٧ حتى سنة ١٩٤٨ فهى لم تكتف بما كانت تصدره من تصريحـــات وتقوم به من حركة تمرد وعصيان ٠ لقد أطلق عرب فلسطين كلمة « لا » القاطعة فى وجـــه بناة الامبراطورية وفى وجـــه المستعمرين العنصريين مستخدمين فى ذلك وسائل شـــعبية ولكنها أكثر ضراوة من سابقتها وتكلف كثيرا ٠

عندما بلغت حركة العصيان والتمرد التى قامت ســـنة ١٩٣٦ ذروتها قام شعب فلسطين بحركة تمرد مدنى تخريبى صاحبتها حركة اضراب عام استمرت ١٧٤ يوما (وقد تكون أطول فترة اضراب قومى عرفها التاريخ) وقد شملت هـــذه الحركة جميع مجالات الأعمال والمواصلات والأجهزة الحكومية التى كان يديرها العرب ٠ وقد استمر الفلسطينيون ــ رجال وسيدات ــ فى اضرابهم على رغم كل ما كلفهم ذلك كما أنهم قاوموا جميع الجهود التى بذلتها حكومة الانتداب لانهاء هـــذا الاضراب ٠ ولم ينته بالفعل الا بعد أن تدخـــل حكام الدول العربية المجاورة التى وعدت المضربين بالقيام بمفاوضات عربية جماعية مع الحكومة البريطانية من أجل معالجة آثار العمليات التعسفية التى ارتكبت ضد العرب الفلسطينيين ٠

وهناك اجراء آخر اتخذ وكان أهم من الاجراء السابق ذكره وهو السلاح الوحيد الذى بقى فى أيدى العرب الفلسطينيين لاستخدامه فى كفاحهم ضد عملية صهينة فلسطين • وهذا السلاح هو الاشراف على عملية بيع الأراضى ذلك لانهم لم يكونوا يمتلكون أية سلطة للحيلولة دون تهجير المستعمرين الصهيونيين الى فلسطين ومع ذلك فقد كان لديهم بعض السلطة على عملية بيع الأراضى لهؤلاء المستعمرين • وهكذا نرى أن الفلسطينيين قد استخدموا هذا السلاح بدون هوادة خلال فترة الانتداب البريطانى •

وتشير الوثائق التاريخية الى أن عملية حصول الصهيونيين على الأراضى خلال فترة الثلاثين عاما التى استمر فيها الاحتلال البريطانى واستمر معه تشجيع الاستعمار الصهيونى لم تسر الا بخطى بطيئة للغاية لأن العرب كانوا يرفضون باصرار بيع أرضهم للمستعمرين وذلك على رغم أن سلطة الانتداب كانت قد سمحت للصهيونيين بمضاعفة عدد السكان اليهود اثنى عشرة ضعفا عما كان عليه عددهم سنة ١٩١٧ وعلى رغم أن نسبة عددهم الى العدد الاجمالى للسكان قد بلغ الثلث • وتشير الاحصائيات التى قامت الحكومة البريطانية بنشرها أن مجموع المساحة التى استطاع الصهيونيون الحصول عليها منذ سنة ١٩٢٠ أى منذ الوقت الذى بدىء فيها بعمل سجلات عقارية حتى فترة طرد العرب من أراضيهم كانت تقل عن ٤٪ من جملة مساحة الأراضى الفلسطينية(١) •

---

(١) المساحة الخاصة بفلسطين : القدس ـ مطبعة الحكومة ، ١٩٤٦ ، ص ٢٤٣ (الفقرة ٥٢٠)

وجدير بالذكر أن من بين هذه الأراضى التى حصل عليها الصهيونيون يوجد جزء قد بيع لهم من ملاك غير فلسطينيين وغير مقيمين فيها كما أن جزءا آخر قد نقلت الحكومة البريطانية نفسها ملكيته الى بنك الاستعمار الصهيونى (وكان هذا الجزء يضم الممتلكات العامة لشعب فلسطين وكانت وديعة فى أيدى سلطة الانتداب) وقد صرح فى الواقع أحد الناطقين الرسميين باسم الوكالة اليهودية أمام لجنة بريطانية بأن : « الأراضى التى قام اليهود بشرائها ... ، لم تكن سوى مساحات صغيرة نسبيا تم شراؤها من بعض الفلاحين ويبلغ مجموع هذه المساحات ١٠٪ فقط من مجموع المساحات التى حصل عليها اليهود فى فلسطين خلال فترة الانتداب » (١) .

* * *

٤ ــ وفى سنة ١٩٤٨ نزعت ملكية الشعب العربى الفلسطينى بالقوة وطرد معظم الفلسطينيين من بلدهم . ولم تنجح المقاومة الصلبة التى قاموا بها والتضحيات الهائلة التى بذلوها خلال ثلاثين عاما فى تفادى الكارثة القومية التى أصابتهم .

« ومع ذلك فلم تذهب تلك التضحيات سدى . ذلك لأنها حافظت على حقوق الفلسطينيين القومية وأبرزت شرعية مطالب العرب لميراثهم القومى . فالحقوق التى لا يدافع المرء عنها هى حقوق متنازل عنها . واذا ما قبل المرء ذلك دون

---

(١) الكتاب الأزرق البريطانى : وهو المعروف باسم « تقرير شو » ص ١١٤ .

معارضة تتخذ عملية الاغتصاب الصفة الشرعية بحكم غيابى. ولن تستطيع الأجيـــال الفلسطينية المقبلة أن تتهم الجيـل الفلسطينى الذى عاش قبل الحرب بأنه أضاع تراثه الوطنى. لقد كان مصيره الفشل ولكن ــ والحق يقال ــ فان هذا الجيل لم يفشل لأنه لم يخض المعركة ، نعم ، لقد طرد حقا من دياره ولكنه لم يكف لحظة عن الدفاع عن ميراثه » .

ولم يضف شعب فلسطين صفة الشرعية غـير المستحقة على الاستعمار الصهيونى فى فلسطين وذلك باعترافه بهـــذا الأمر « كأمر واقع » . كثيرون كانوا هؤلاء الذين يدعون أنهم مستشـــارو « المذهب الواقعى » والذين أخـــذوا يحثـــون الفلسطينيين على الاعتراف « بالوضع الجديد » فى فلســطين وعلى قبول نفيهم عن ديارهم « عن طيب خاطر » . وكثـــيرة كانت تلك العروض المغرية بالمعونة الاقتصادية من أجـــل « ادماج » أو « استيعاب » الفلسطينيين خارج فلســـطين . الا أن الشعب الذى ظل باســـلا طيلة ثلاثين عاما فى وجـه السـلطة المشتركة التى كانت تفرضـــها عليه الامبرياليـة البريطانية والاستعمار الصهيونى وقد رفض فيما بعد السماح بأن يتم الاستيلاء على أرضـــه وممتلكاته وأن تبعثر أشـلاؤه ليكسب روحه ونفسه استطاع أن يقاوم هذه النداءات المغرية المضللة .

« لقد ظلت دولة المستعمرين الصهيونيين دولة غاصبة ولم تستطع الحصول على ظل من الشرعية ، ذلك لأن الشعب الفلسطينى ظل أمينا على ميراثه وأمينا على حقوقه » .

٥ ــ وعلى رغم جميع ما تكبـــد من آلام وبؤس لم يكفـه

الشعب الفلسطيني عن الايمـــان الكامل بمستقبله ، ويعلم شعب فلسطين أن الطريق المؤدى لهذا المستقبل هـــو تحرير وطنه » .

فبنفس هذه العقيدة وبعـــد ست عشرة عاما من النفى والتشتيت والتى ركن خلالها الى الضمير العـالمى والى الرأى العام الدولى أكان داخل الأمم المتحدة أم لدى الدول العربيـة لاستعادة وطنه السليب ـ اختار أخيرا أن يقوم بنفسه بهـذه المبادأة . ففى سنة ١٩٦٤ أكد استمرار كيانه بانشاء منظمة التحرير الفلسطينية .

ان تحرير فلسطين وحده بأيدى الفلسطينيين المستعدين لدفع هذا الثمن هـو العمل الذى سيبرر تلك التضـحيات العظيمة التى بذلتها الأجيال الفلسطينية السـابقة وهى التى ستحقق آمال الفلسطينيين الذين لا يزالون على قيد الحياة .

الخاتمـــة

تحرير فلســـطين

يعتبر حق « التحرير القومى » امتدادا لحـق « الدفاع الذاتى القومى » وهو حق لم يكتف ميثاق الامم المتحدة بتأييده بل اعتبره بموجب أحكام هـــذا الميثاق نفسه حقا « ملازما » و « ثابتا » و « غير قابل للتغيير » (١) . واذا كان اسـتمرار امتلاك المكاسب الناتجة عن العمليات الهجومية تعادل استمرار

(١) ميثاق الأمم المتحدة ، المادة ٥١

هذه العمليات نفسها فإن تحرير الأراضى التى تم سلبها عن طريق العدوان يعتبر استمرارا للحق الطبيعى فى مقاومة العدوان الأصلى • فالتحرير والدفاع عن النفس هما وجهان لنفس الحق الثابت •

وقد أصبح حق التحرير القومى حقا يكاد يكون معترفا به على الصعيد العالمى • ولم تعد سوى النظم الامبريالية والاستعمارية المتطرفة هى التى لا تزال تذكر المبدأ الخرافى الخاص بحصانة الممتلكات التى سبق الاستيلاء عليها بعدوان مضى ولا يزال مستمرا وذلك على أمل وقف عملية تصفية الاستعمار قبل أن تغرق المياه المتدفقة من حركات التحرير القومى نظمها العتيقة •

* * *

ولا تقف مزاولة حق التحرير القومى عند حد المواقف التى تخضع فيها السيطرة الأجنبية شعبا ما لسيطرة شعب آخر أو تلك المواقف التى يستغل فيها شعب ما ثروات شعب آخر بكل بشاعة وأنانية • ذلك لأن هذا الحق يمتد أيضا — وأول كل شىء — الى هذه المواقف التى يخضع فيها اقليم شعب ما لسيطرة شعب آخر بعد أن يكون هذا الأخير قد طرد منه بالقوة أبناءه وأصحابه الشرعيين •

وتتضمن مأساة فلسطين المصيرية جميع هذه العناصر مجتمعة : السيادة الأجنبية ، الاستغلال ، نزع الملكية بل وتتضمن عناصر أخرى كثيرة • فالاقليم الفلسطينى واقع بالفعل تحت السيطرة الأجنبية • كما أن موارده يستغلها الآخرون • ولقد نفى شعبه ويئن باقى هذا الشعب تحت نير

نظام من التفرقة العنصرية والقمع العنصري الذي يفوق في ضراوته النظم العنصرية السائدة في قارتي آسيا وافريقيا . وقد تم كل ذلك في ظل الارهاب والعنف وبالتواطؤ مع الامبريالية . ولم يستطع أي وجه من الأوجه المتعددة لهذا الأمر الواقع أن يكتسب صفة الشرعية من قبل شعب فلسطين أو حتى من قبل أية مجموعة صغيرة من هذا الشعب .

* * *

وفي تصميمه على المضي في هذا الطريق الشاق وهو طريق التحرر القومي يستمد الشعب الفلسطيني قوته وشجاعته من ايمانه بعدالة قضيته وهي التي عبرت عنها في مناسبات عديدة الشعوب المحررة حديثا وذلك خلال جلسات المؤتمرات الدولية المتعاقبة . فمن باندونج الى أكرا ومن الدار البيضاء الى بلغراد تم التعبير بكل وضوح عن الايمان في عدالة قضية الفلسطينيين العرب . وفي المؤتمر الثاني لرؤساء دول حكومات البلاد غير المنحازة أعلنت هذه الدول « تأييدها التام المطلق للشعب العربي الفلسطيني في كفاحه من أجل تحرره من الاستعمار والعنصرية » . وهكذا عبر رؤساء الشعوب التي لا تزال تذكر تجاربها المريرة مع الامبريالية والاستعمار ومع العنصرية حماسهم وعطفهم نحو آلام الشعب الفلسطيني وآماله وهو الشعب الذي لا يزال يئن من هذه الآلام ومن تشتيت أبنائه وفقدان ملكياتهم . ومن شأن مثل هذا العطف أن يزيد من ايمان الفلسطينيين العميق في احراز النصر النهائي الذي يحقق لهم العدالة والحرية والكرامة الانسانية على أرضهم .

وعلى رغم أن المشكلة الفلسطينية لم تصب بشكل مباشر

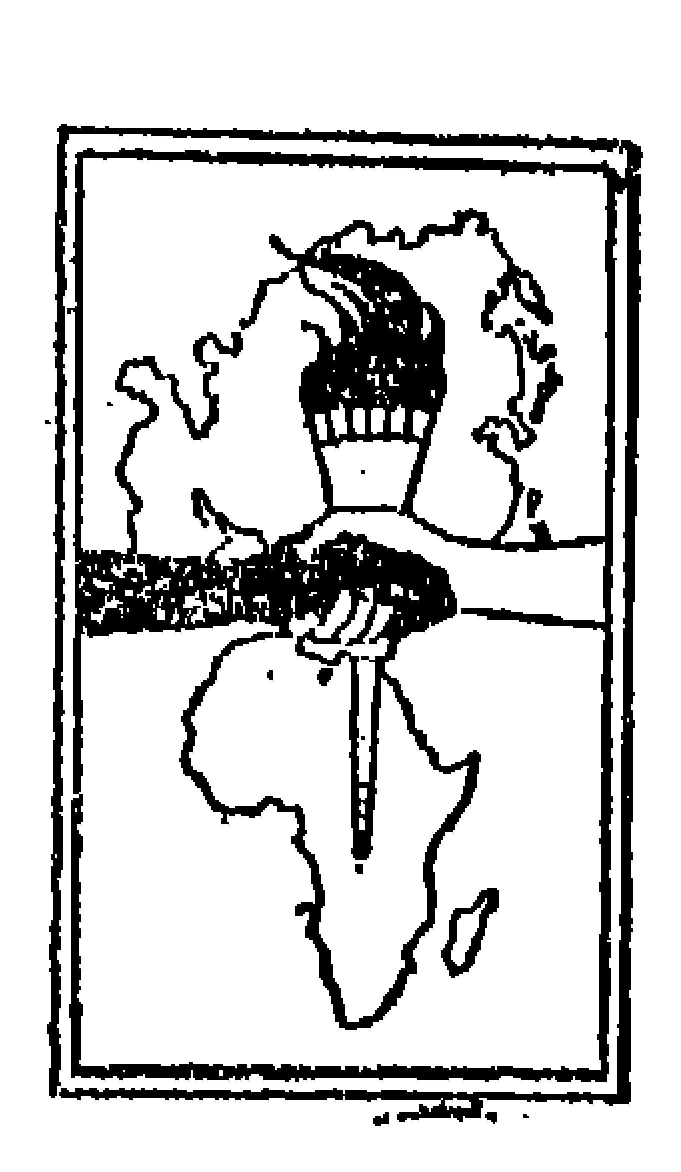
سوى الفلسطينيين أنفسهم الا أن هـــذه المشكلة لا تمسهم وحدهم •

ان دولة المستعمرين الصهيونيين باتجـاهاتهم التوسعية تعتبر أيضا تهديدا لأمن وسلامة أراضي الدول العربية بأسرها• فقد اعتدت على أراضيها وهى تتوق أيضا الى غزو أراضيها •

وتعتبر هذه العملية الاســتعمارية التى ازدهرت بكل ظلم واجحاف فى نفس الوقت الذى بدأ الاستعمار فيه يختفى من الوجود تحديا « لجميع البلاد المناهضة للاســتعمار فى قارتى افريقيا وآسيا • ذلك لأن قضية مناهضة الاستعمار والتحرير هى فى نهاية الأمر قضية واحدة لا تتجزأ » •

فباعتباره نظام عنصرى تحركه وتغذيه العقـــائد التى تنادى بالتفرقة العنصرية الذاتية وبالعنصرية المطلقة وبالتفوق العنصرى وباعتبار أن هذا النظام يعبر عن عقـــائد التفرقة العنصرية والقمع والتى يمارسها بدون هوادة لذلك فان النظم السياسية التى خلقها المستعمرون الصهيونيون فى فلسطين لا يمكنها الا أن تعتبر تهديدا لجميع الرجال المتمدينين الذين وهبوا حياتهم للحفاظ على الكرامة الانسانية ولرفع شأنها • « فحينما تمس كرامة انسان واحد بموجب قانون العنصرية تعتبر هـذه اهانة بالغة القسوة قد ارتكبت فى حق ســائر البشر جميعهم » •

مطبعة أطلس
١١ ، ١٣ شارع سوق التوفيقية ـ القاهرة



قامت بالنشر السكرتارية الدائمة
لمنظمة تضامن الشعوب الأفريقية الآسيوية
٨٩ عبد العزيز آل سعود – منيل الروضة
القاهرة – ج. ع. م